الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي

الموضوع:

التمرد في أدب جبران خليل جبران

إعداد الطالب (ة):
فاطمة الزهراء بن مني

إشراف:
د/ العرابي لخضر

لجنة المناقشة		
أ.د	عباس محمد	رئيسا
أ.د	بن عزة عبد القادر	عضوا مناقشا
أ.ت.ع	العرابي لخضر	مشرفا ومقررا

العام الجامعي: 1438-1439هـ/ 2016-2017م

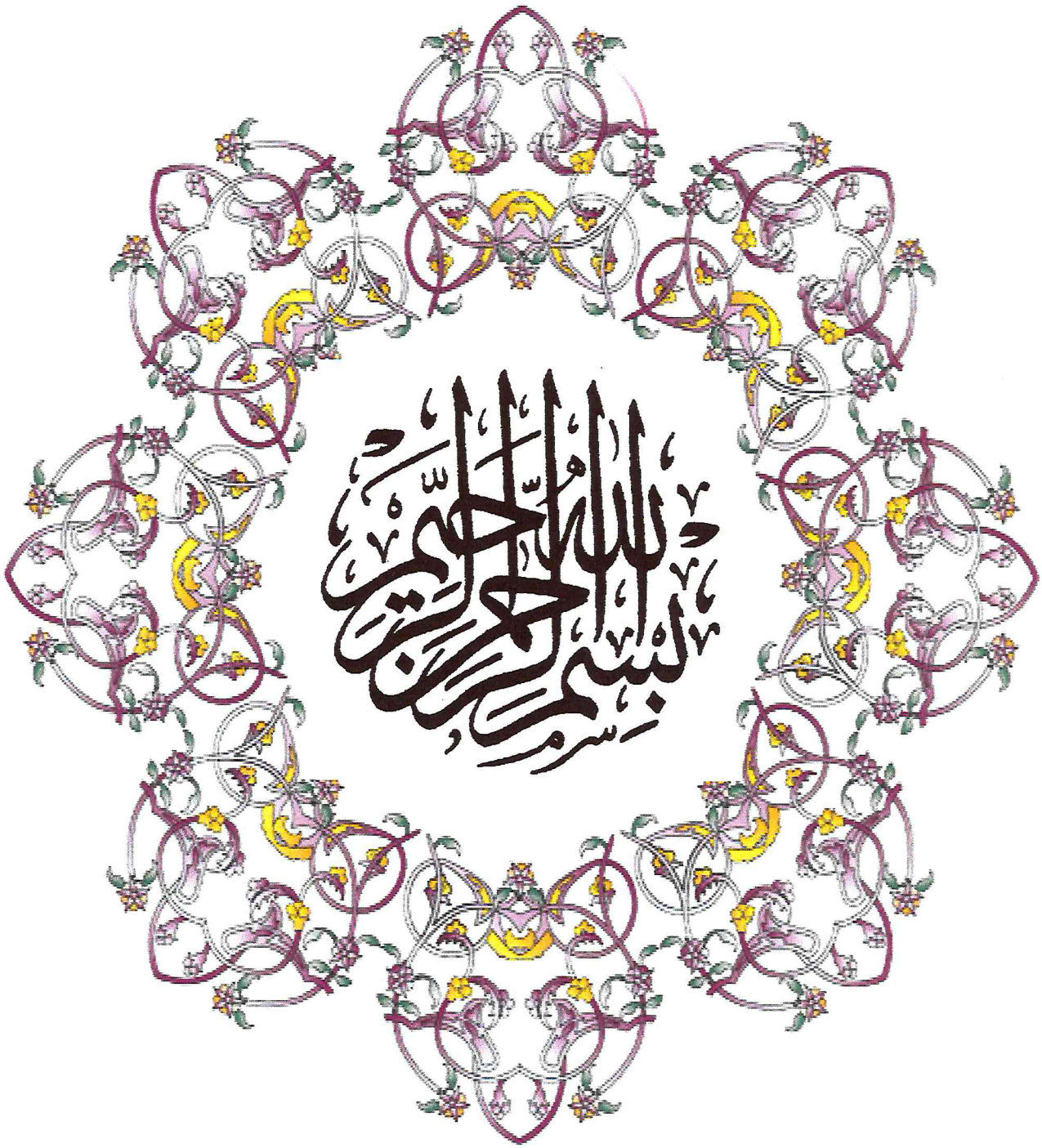
بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس الموضوعات

التّـــــــــــــمرّد في أدب جبران خليل جبران :

فهرس الموضوعات

مقدّمـــــــة.....أ-ج

المدخل : تعريف مصطلح التّمرّد 1-8

الفصل الأوّل : أسباب التّمرّد عـــــند جـــبران : .....9 -27.

المبحث 1: الأسباب النّفسيّة و الاجتماعيّة.....9-14.

أ- الهجـــــــــرة.....9 -10.

ب - المـــــــــــوت.....11.

ج- الغربة النّفسيـــــــة..... 12 -14.

***المبحث 2**: تأثّره بأدباء العرب و الغـــــرب.....15 -27.*

أ- الثّقافة الأنجلوسكسونيّة (بليك و امرسون).....15 -18.

ب- الثّقافة الأوروبيّـــــــة (نيتشه و روسو).....19 -22.

ج- الثّقافة العربيّة الصّوفيّة (ابن سينا والغزالي وابن الفارض).....23 -27.

الفصل الثّـــــــــاني :مظاهر التّمرّد في أدب جبران.....28 -52.

المبحث 1:السلطات الاجتماعيّـــــة:.....28 -39.

أ- السّلطة الدّينيّة.....29 -32.

ب- السّلطة الاجتماعيّة.....33 -36.

ج- سلطة الإقطاع.....37 -39.

المبحث 2 : اللغة و الأســـــلوب.....40 -52.

أ- الطّبيعـــــــة.....41 -43.

ب- الرّمـــــــــز ..... 44 -45.

ج-التأمّـــــــل.....46 -47.

د- الثّورة على القوالب الأدبيّة.....48 -52.

الفصل الثّـــــالث:تجلّيات التّمرّد في أدب جبران.....52 -78.

المبحث 1: في الشّـــــــــعر.....52 -68.

تحليل قصيدة المـــــــــــواكب.....52 -68.

المبحث 2: **في** النّثـــــــــر "العواصف".....68 -78.

أ- حفّار القبور.....71 -72.

ب- العبوديّة.....73 -74.

ج- الأضراس السوّســـــــة.....75 -78.

خـــــــــاتمة.....79 -80.

قائمة المصـــــــــــادر و المراجـــــــع.....81 -85.

مقدمة

لقد مثّل جبران خليل جبران ثورة كبيرة في عالم الأدب الحديث عامّة و النّثر العربي الحديث خاصّة ، كتب بأسلوب راق جميل غاية في الجدّة ، كما امتلك شخصيّة مثيرة جعلته يلمع في مجال الأدب العربي و العالمي أيضا ، كتب بلغتين استطاع أن يكون مثالا للثّورة و التّمرّد و مثالا على العبقريّة التّي لا تعرف الحدود ، فبالرّغم من إمكانياته البسيطة و أسرته الفقيرة المحدودة و نشأته البائسة و تعليمه النّاقص الذّي لم يبلغ فيه مبلغا بعيدا استطاع أن يكون من أشهر الأدباء في عصره و إلى غاية يومنا هذا.

فجبران منذ بدأ يكتب و هاجس الإصلاح الاجتماعي يلازمه،ثار على الفساد و الجهل و الشّرائع المستعبِدة للبشريّة و الإقطاع و تأليه المال ، و نادى بمجتمع حرّ متناغم مع الطّبيعة يساعد الإنسان على اختلاف اللّون و الجنس و المكان على تحقيق ذاته في جوّ من المحبّة ، و ما كانت حياته إلاّ سلسلة من التّغيّرات و الأحداث التّي ظهرت آثارها متوالية في سائر مؤلّفاته النّثريّة بوجه خاص و صبغت تلك المؤلّفات بصبغة الحزن و الألم تارة و الثّورة و التّمرّد تارة أخرى و الحيرة و الاضطراب حينا آخر و المحبّة و الصّفاء و السّلم حينا آخر.

و تكمن أهمّية هذا الموضوع في تسليط الضّوء على الجانب النّفسي خاصّة و دمجه بالجانب الأدبي و إدراك مدى تأثيره على الإبداع و دراسة هذه الشّخصيّة و انتاجاتها الأدبيّة في ضوء التّحليل النّفسي و الفلسفي ، و كيف جاء هذا الأدب مشحونا بشحنات التّمرّد و الثّورة على كلّ ما هو قديم و كلّ ما يحدّ من حرّية الشّخص من استغلال و تسلّط و كيف طبّق التّمرّد على الأدب فأنتج لنا أدبا راقيا ، أدبا جديدا و لغة جديدة أرّخ لها العصر الحديث.

و من هنا نطرح الإشكالية التّالية :كيف استطاع جبران أن يحدث ثورة في عالم الأدب ينقله بها من الأدب الإتّباعي إلى الأدب الحديث ؟ و أين تكمن أو تتجلّى مظاهر التّمرّد في أدب جبران؟و ما هي الأسباب التّي أدّت به إلى التّمرّد ؟ و للإجابة عن هذه التّساؤلات قسّمنا البحث

إلى مدخل و ثلاث فصول و خاتمة كهيكل عام ثمّ قسّمنا الفصل إلى مبحثين اثنين ، تناولنا في المدخل بعض التّعريفات لمصطلح التّمرّد من النّاحية اللّغويّة و الاصطلاحيّة ثمّ أدرجنا بعض التّعاريف من وجهات نظر مختلفة النّفسيّة و الاجتماعيّة والفلسفيّة ، ثمّ انتقلنا إلى الفصل الأول و قد عنون بأسباب التّمرّد عند جبران و قد قسّم إلى مبحثين ، الأوّل خصّصناه للأسباب النّفسيّة و الاجتماعية (الهجرة، الغربة النّفسيّة ، الموت) ثمّ المبحث الثّاني أدرجنا فيه تأثّره بأدباء العرب و الغرب منها الثّقافة الأنجلوسكسونيّة و الأوروبيّة والعربيّة الصّوفيّة ثمّ نمرّ إلى الفصل الثّاني المعنون بمظاهر التّمرّد في أدب جبران و هو بدوره مقسّم إلى مبحثين ، الأوّل منهما يضمّ تمرّده على السّلطات الإجتماعيّة (السّلطة الدينيّة ، السّلطة الاجتماعيّة و سلطة الإقطاع) أما المبحث الثّاني فتضمّن اللّغة و الأسلوب (استعماله لمعجم الطّبيعة، التّأمّل ، الرّمز الثّورة على القوالب الأدبيّة أمّا الفصل الثّالث فقد عنون بتجلّيات التّمرّد في أدب جبران و قد اعتمدت فيه دراسة تطبيقيّة في الشّعر تحليل قصيدة المواكب ثمّ في النّثر تحليل كتاب العواصف و تناولنا فيه عدّة مقالات من بينها حفّار القبور و العبوديّة و الأضراس المسوّسة .....الخ وحصرنا هذا البحث في خاتمة كانت هي عصارة البحث و أرفقناه بمكتبة البحث (قائمة المصادر و المراجع) و قد اتّبعنا في هذا البحث المنهج "**التّحليلي**" معتمدين على بعض المراجع أهمّها "جبران خليل جبران في ضوء المؤشّرات الأجنبيّة دراسة مقارنة "**لندير العظمة** ، و **ميخائيل نعيمة** بمؤلّفيه "جبران خليل جبران المجموعة الكاملة لمؤلّفاته العربيّة" و "جبران خليل جبران" ط13،2009 كذلك **نادرة جميل سراج** : " شعراء الرّابطة القلميّة دراسات في شعر المهجر" و كذلك **ريموند قبعين** في مؤلّفها " النّزعة الرّوحيّة في أدب جبران و نعيمة".

و من بين أسباب اختياري لهذا الموضوع الشّخصيّة هي مواصلة بحثي عن الأدب الحديث و عن جبران خاصّة بحيث كان هو مشروع تخرّجي و نيلي شهادة اللّيسانس الكلاسيكي دفعة 2008 حيث كان عنوان مذكّرتي "فلسفة الوجود في أدب جبران خليل جبران"و التّي أشرف عليها الأستاذ "عبد المجيد عطّار" أمّا عن الأسباب الموضوعيّة رأيت أنّه بالرّغم من الاهتمام الذّي

حظي به الأديب من دراسة إلاّ أنّ مكتبتنا على حدّ علمي تخلو من دراسة مستقلّة حول غرض الرّفض و التّمرّد و الثّورة عنده و الذّي يعتبر السّمة الغالبة عنده ، كذلك توضيح العلاقة الوثيقة التّي تربط جبران بالواقع المحيط به فجميع المقالات والقصائد التّي تصدر عنه لها مرجعيّتها و إطارها الدّال و الرّاسخ.

و في الأخير لا يسعني سوى القول أنّني قد استمتعت بقدر كبير من مؤلّفات جبران خلال انجازي لهذه المذكّرة التّي ملت إليها كثيرا و لا يسعني إلاّ أن أشكر أستاذي المشرف الأستاذ الدّكتور "**العرابي لخضر**" على مجهوداته في إنارة طريقي و توجيهي كما أرجوا أن أكون قد وفّقت و لو بقدر في انجاز هذا البحث و أن يكون مرجعا يستفيد منه غيري كما استفدت أنا من غيري و الله وليّ التّوفيق و الحمد لله ربّ العالميـــــــــــــن.

بن منّي فاطمـــــــــة الزّهراء **-تلمســـــــان- يوم 2017/05/25**

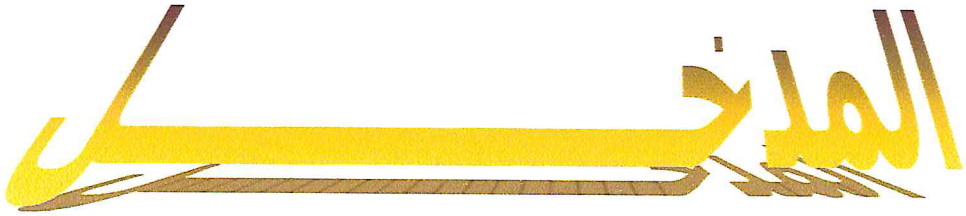

تعريف مصطلح التّمرّد

لقد عرف مصطلح التّمرّد تعاريف عديدة و وجهلت نظر مختلفة و متباينة ، كما أنّه سلك اتّجاهات متشعّبة منها : الإتّجاه النّفسي،الإتّجاه الفلسفي ، الإجتماعي ، وكذلك الإسلامي وسنحاول من خلال هذا المدخل تسليط الضّوء على هذا المصطلح أوّلا و علاقته بالأديب "جبران خليل جبران" و كيف أنّه تمرّد في حياته على نفسه أوّلا ثمّ السّلطات الإجتماعيّة ثانيا، كما سنتعرّض للتّعاريف المختلفة لهذا المصطلح لعدة مختصّين ، لذلك سنتناول في بداية الأمر هذا المصطلح من الجانب اللّغوي و ما تداولته بطون القواميس و المعاجم اللّغويّة و الأدبيّة.

أ) *التّمرّد لغـــــــــة :*

ورد مصطلح التّمرّد في قاموس **لسان العرب لابن منظور** في مادّة **"مرد"**: «مردَ على الشّيء و تمرّدَ أي عتا وطغى»[1].

و جاء في كتاب العين لصاحبه **الخليل ابن احمد الفراهيدي** أنّ مصطلح مرَدَ : يمرُدُ- مَرْدًا ، و مرد على الشّيء أي عتا وطغَى ، و منها قوله تعالى :{مَرَدُوا عَلَى النِّفَاق} سورة التّوبة 102.و«تمرَّد فُلان زَمانًا ثمّ خَرَجَ وَجْهُهُ ، و ذلك أنْ يبقى حسنًا أَمْرَدَ »[2].

أمّا **معجم الصّحاح** فقد ورد نفس المصطلح بمعنى« المرود على الشّيء و المرون عليه ، و المارِدُ العَاتِي كما يقال في المثل جمهرة الأمثال 257/1 "تَمَرَّدَ مارِدٌ و عزَّ الأبلق" »[3].

---

1) **أبي الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري : "لسان العرب"** ، المجلّد12 ، دار صادر – بيروت ، الطبعة 1.

2) **الخليل ابن أحمد الفراهيدي (ت 170هـ) :"كتاب العين"**، ترتيب و تحقيق الدّكتور عبد الحميد هنداوي ، المجلّد 4 ، ك-ي ، منشورات محمّد علي بيضون ، دار الكتب العلميّة ، بيروت- لبنان ، باب الميم ، ص 132.

3) **الإمام اسماعيل بن حمّاد الجوهري : "معجم الصّحاح "** اعتنى به خليل مأمون شيحا ، نسخة مخرجة الآيات و الأحاديث و موثقة الأشعار و الأمثال العربيّة ، دار المعرفة ،بيروت –لبنان ،ط3 2008/1429م ، ص 980.

أمّا في معجم المصطلحات العربيّة في اللّغة و الأدب فإنّ:« التّمرّد هو الخروج على نواميس المجتمع و قوانين النّظام العام و عدم الإعتراف بسلطان أيّ سلطة»[1].

كما يقول "محمّد يحياتن" بأنّ التّمرّد ينطوي على مفهوم العصيان و هي إحدى سمات العنف باعتباره رد فعل عنيف تجاه حالة معيّنة تستثير غضب الإنسان الذّي يحياها أو يعاني منها [2].

ترتبط فكرة التّمرّد بصورة الشّباب الأمرد «لأنّ التّمرّد هو كالأمرد يريد كلّ شيء فورا، فينشد الغاية دون اهتمام بالوسائل و يلغي العالم ذهنيّا بدلا من تغييره لكن هذه الصّورة التّمرّديّة للشّباب هي صورة أدبيّة و هي ليست التّمرّد ذاته »[3].

ومدلول التّمرّد في اللّغة العربيّة هو ما يقابله باللّغة الفرنسيّة لفظ REVOLTE و يمكن القول بأنّ اللّفظ الفرنسي عرف تطوّرا عبر التّاريخ إلى أن وصل إلى استعماله الحالي الذّي يفترض مثل هذا اللّجوء إلى القوّة ، كما يؤدّي هذا اللّفظ معنى الرّفض و الإستنكار .هذا و تدنو كلمة « REBILLIO N » عصيان من التّمرّد « REVOLTE » و ذلك لكونهما تدلاّن على معنى العصيان و جاء في قاموس LA ROUSSE أن التّمرّد ACTION DE SE REBLLER REFUSER DE SE SOUMETTRE" (4).

ب) التّمرّد اصطلاحـــــــا :

هو اتّباع الممنوع (المحظور) المتمثّل بالرّفض الذّي يظهره الفرد لكلّ ما هو قائم من فكر و مبادئ و عادات و تقاليد و مقاومة للسّلطة برموزها المختلفة (الوالديّة ،التّعليميّة ، و أيّة سلطة أخرى في المجتمع ،و الميل إلى انتقادها و تحدّيها و للتّمرّد صور و أشكال مختلفة ، قد تكون

---

1) مجدي وهبة و كامل المهندس : "معجم المصطلحات العربيّة في اللّغة والأدب"، مكتبة بيروت-لبنان ، ط2 1984 ، ص 120.

2) ينظر محمّد يحياتن : "مفهوم التّمرّد عند البير كانو و موقفه من الثّورة الجزائر التّحريريّة" ، ديوان المطبوعات الجامعيّة ، بن عكنون – الجزائر 1984 ، ص 18.

3) خليل خليل أحمد :"معجم مفاتيح العلوم الإنسانيّة" ، دار الطّليعة ، بيروت– لبنان 1989 ، ص 132.

4) La rousse dictionnaire de français 2008.

مباشرة وصريحة كالتّمرّد على تقاليد الأسرة و قيمها و أخلاقيّاتها و عقائدها و المهن التّي ترتضيها كما يبدو في شكل مخالفات في الملبس أو تمضية أوقات الفراغ أو غير مباشر ، كالإذعان لمطالب السّلطة و لكن في الوقت نفسه يحاول الشّباب إظهار تمرّده عن طريق تحريض الآخرين على الإنصياع للسّلطة

و تضيف **"إقبال الحمداني"** في تعريفها للتّمرّد بأنّه «معاناة الفرد من إحساسه[1].

بالإحباط و الغضب و الرّغبة في التّعبير أو الإحتجاج و التّحطيم و العدوان»[2].

كما وردت عدّة تعريفات لنفس المصطلح عند كثير من علماء النّفس و الإجتماع من بينها تعريف "البير كامو" الذّي يقول :« إنّ التّمرّد هو صراع بين الإنسان و غموضه الّذاتي ، و هذا يعني أنّ التّمرّد هو المطالبة بنوع من الشّفافيّة المستحلبة، كما يعني وضع العالم موضع السّؤال من كلّ لحظة من لحظاته ، و لما كان التّمرّد هو مواجهة اللاّمعقول فالوعي منصبّ عليه كلّية »[3].

أمّا **"ميرتون– Merton"**1957 :فيقول هو الرّفض للثّقافة السّائدة و البناءات الاجتماعية و البحث عن تبديلها بواحدة جديدة ، و هو تبلور الجهد الجماهيري من أجل القضاء على نظام اجتماعي يعاني الأفراد في ظلّه من الإحباط ، و هذه الجماهير سوف تظلّ تسعى بطبقاتها لتغيير النّظام و إحلال نظام بديل يستطيعون في ظلّه أن يتوافقوا و أن ينسجموا مع معاييره نظام اجتماعي يتيح لهذه الطّبقات أن تحقّق طموحاتها[3].

أمّا **"ميلسون"** فيرى أنّ التّمرّد من أكثر التّنميطات شمولا حيث ينقسم تنميطه إلى ثلاثة أنماط رئيسيّة الذّي يضم كلّ نمط رئيسي أنماط فرعيّة لاحقة و يقع التّمرّد في النّمط الثّاني الرّئيسي نمط المجرّبين ، و يضمّ هذا النّمط العام الأشخاص الرّافضين للمجتمع و الكارهين له ، لكنّهم الذين يمتلكون ردّ الفعل الإيجابي الذّي يعبّر عن عدم رضاهم عن طريق دعم أنساق جديدة للتّرابطات

1) **أنظر إقبال محمّد رشيد صالح الحمداني:"الإغتراب –التّمرّد–قلق المستقبل"**، دار صفاء للنّشر و التّوزيع ، عمان ، ط1434،1/2011م، ص 48.

2) نفس المرجع ، ص 73.

3) محمّد يحياتن : "مفهوم التمرد عند البير كامو"، ص 48.

4) انظر نفس المرجع ، ص 72.

الإنسانيّة ،و التّأكّد من أساليب جديدة للحياة الفرديّة و يتطلّب هذا الإتّجاه بالطّبع درجة من الثّقة و ذلك هو السّبب في انتشاره بدرجة أكثر وضوحا بين الطّلاّب الذّين يدعم اختيارهم و انتقالهم للتّعليم العالي ثقتهم بأنفسهم[1].

أمّا "**سيمان**" :فيعدّه وسيلة من وسائل التّكيّف ، تقود النّاس إلى الخروج من محيط التّركيب الاجتماعي من أجل البحث أو إحداث تعديلات كبيرة في السّلوك الاجتماعي ، بمعنى أنّ الفرد يتمرّد على الأهداف و المعايير و القيم السّائدة في المجتمع و يحاول إحداث تغييرات فيها [2].

أمّا "**جيرار ماندیل** "1971: فيفسّر التّمرّد بناءا على التّحليل النّفسي الإجتماعي يجد أنّ التّمرّد يتمثّل بأزمة الأجيال التّي تحدّد العلاقات بين جيل المراهقين أو الشّباب نتيجة لإنقلاب الأوضاع في المؤسّسات الإجتماعيّة و الحضاريّة و انهيار سلطة الأهل و بخاصة سلطة الأب كمثال للتّماهي يجد نفسه مجبرا على رفض صورة السّلطة الأبويّة كمثال له و بالتّالي رفض كل ما يأتي عن هذه السّلطة من قيم و معايير [3].

1. **و التّمرّد من المنظور الإسلامي** :هو«الخروج عن السّلطة و القيم والقوانين و العقائد و الأعراف السّليمة أو الخروج على ما ينبغي الإلتزام به»[4].

2. ***التّمرّد من الوجهة الفلسفيّة:*** التّمرّد في ميدان الفلسفة مصطلح متداول جدا و هو أوسع مدى من المدلول اللّغوي ، و هو يعني الرّفض الكامل للوضع الإنساني condition humaine و في هذا المعنى يقول "**بول فولكييه**":«التّمرّد هو الوقوف ضدّ السّلطة الحاكمة ، و هو أيضا الرّفض العارم للوضع الإنساني»[5].

---

1) إقبال الحمداني : الاغتراب –التمرد–قلق المستقبل ، ص 148.
2) ينظر نفس المرجع ، ص 72.
3) ينظر نفس المرجع ، ص 152.
4) نفس المرجع ، ص 72.
5) ينظر نفس المرجع و الصّفحة.

و من هنا فإنّ المدلول الفلسفي ينطوي على معنى الرّفض الكامل للقدر الإنساني ، أي أنّ الإنسان هاهنا يرفض كلّ الأوضاع التّي تقدّر له بوصفه إنسانا ضعيفا متناهيا و هذا ما يسمّيه **"كامو"** بالتّمرّد الميتافيزيقي [1].

3. ***التّمرّد الميتافيزيقي :*** يقول عنه **"البير كامو"** «بأنّه الحركة التّي يثور بموجبها على حاله وعلى الخليقة كلّها ، إنّها ميتافيزيقية لأنّها تعارض في سلامة الغايات الخاصّة بالإنسان و بالخليقة بأسرها ، فالعبد يحتجّ على الوضع الذّي يفرض عليه في داخل حاله ، أما التّمرّد الميتافيزيقي فيحتجّ على الوضع المقدّر له بوصفه إنسانا »[2].

فالتّمرّد يكون على اللاّمعقول و التّمرّد الميتافيزيقي يثور على مبدأ الظّلم المتفشّي فيه و يعارضه بمبدأ العقل القائم في نفسه ، انّه نزاع إلى بلوغ الوحدة السّعيدة ضدّ آلام الحياة و الموت إنّه نكران للموت وفي نفس الوقت يرفض القوّة التّي تلزمه بالحياة في مثل هذه الحالة التّي تنتهي ضرورة بالموت و معارضة المتمرّد لكلّ مظاهر الآلام في الوجود لا يعني أنّه ملحد ، بل هو مجدّف باسم النّظام ضدّ العالم الذّي ينطوي على الفوضى ، كما أنّه يجدّف ضدّ دنيا تنتهي دائما بالموت تبعا لذلك فهو يجدّف ضدّ إلاه يرى فيه المسؤول على الشّرّ و مظاهره في العالم ، فهذا التّمرّد ليس هو و الإلحاد شيئا واحدا[3].

4. **تعريف التّمرّد في علم النّفس:** هو نمط سلوكي مبالغ فيه خارج عن حدّ المألوف أو حدّ السّواء و هو شعور بالرّفض لكلّ ما يحيط بالفرد وما يترتّب عليه من سلوك قد يتّصف بالعداء و الكراهيّة و الإزدراء لكلّ ما اصطلح عليه المجتمع من قيم وعادات و نظم أو هو السّلوك الرّافض لكلّ ما استقرّ عليه المجتمع و ألفه من عادات و تقاليد .

و بما أنّه نمط سلوكي فلنّفسيّة و تكوينها أثر بالغ لأنّ ما تصدره النّفس البشريّة ما هو إلاّ انعكاس لما

1) ينظر إقبال الحمداني : الاغتراب-التمرد-قلق المستقبل ص 72.

2) نفس المرجع ، ص 50.

3) محمّد يحياتن : "مفهوم التمرد عند البير كامو"، ص 51.

يدور حولها من أنماط متباينة و متشابكة فتتشكّل ردّة الفعل إمّا بالقبول و إمّا بالرّفض الذّي يليه التّمرّد لأنّ شخصيّة الفرد وخصائصه و مقوّماته تنمو و تتشكّل من خلال عمليّة احتكاكه و تفاعله وتعامله مع عناصر بيئته الخارجيّة و الإنسان أثناء عمليّة الاحتكاك و التّفاعل معرّض لتلك القوى و الضّغوط و التّأثيرات التّي تحرّكها هذه العناصر و المثيرات باختلاف أنواعها [1]، ثمّ إنّ التّمرّد لا يستحوذ على معناه كاملا إلاّ في حال قيام ثوابت يقوم عليها ولذا فإنّ قيام تلك الثّوابت صحيح و هكذا يصبح الفنّ حرب عصابات داخليّة تشنّ على الأعراف و التّقاليد و الإتفقيّات العرفيّة ....و هكذا ينتج التّمرّد الذّي يمارسه الفنّان نتيجة لضغوط الأزمات التّي تمارس عليه[2].

كما أدرجت الدّكتورة إقبال الحمداني في دراستها لشعور المتمرّد بأنّه شعور لكلّ ما يحيط به و ما يترتّب على ذلك الشّعور من سلوك يتّصف بالعداء و الكراهيّة و الإزدراء لكلّ ما اتّفق عليه المجتمع من قيم و عادات و نظم [3]، كما تبدو أعراضه على شكل سلوك«يؤدّي إلى اضطراب علاقة الفرد بالآخرين و بالتّالي يؤدّي إلى عدم القدرة على إقامة علاقات إنسانية مقبولة مع الغير ممّا يعتبر من مظاهر سوء التّوافق »[4].

و التّمرّد من الظواهر الحديثة المقترنة بثقافة الشّباب في مجتمعنا المعاصر حيث يميل إلى الثّورة على النّظم الإجتماعيّة و السّياسيّة و الإقتصاديّة و الأفكار والتّقاليد التّي يرثونها عن الأجيال السّابقة [5].

---

1) **ينظر هدى رجب العبيّدي : "فاعليّة شعر الرّفض و التّمرّد ، أمل دنقل و عبد الرّؤوف بابكر السيّد دراسة نقديّة موازنة في ضوء التّحليل الفاعلي** " الدّار العربيّة للنّشر و التّوزيع ، الطّبعة 1 ، 2013 ، ص 46

2) ينظر نفس المرجع و الصّفحة .

3) ينظر إقبال الحمداني :الاغتراب–التمرد–قلق المستقبل ، ص 73.

4) نفس المرجع و الصّفحة.

5) **ينظر الجيلالي صلاح : "المراهقة أزمة الشّباب مع المجتمع ، مكتبة الفكر طرابلس –ليبيا ، الطّبعة 1 ، 1973، ص 36.**

بين الثّورة و التّمرّد : الثّورة تختلف عن التّمرّد و ذلك بالنّظر إلى أهمّيتها و النّتائج التّي ترنوا إلى إحداثها ، و هذا فضلا عن كونها فوريّة و سريعة تتوخّى العنف في أكثر الأحيان ، كما أنّ الثّورة تختلف عن التّمرّد من تنظيمها ووضوح أهدافها ، أما التّمرّد فيختلف عن الثّورة ذلك أنّه ينقضي سريعا إنّه شهادة لا تماسك فيها و لا إحكام ، و معنى هذا أنّ التّمرّد هو بمثابة حركة عاطفيّة تفتقر إلى الرّؤية الواضحة في حين يرى **"كامو"** أنّ الثّورة هي فكرة سرعان ما تدخل في سياق التّجربة التّاريخيّة الحيّة ، و بهذا الإعتبار يبدو أنّ التّمرّد هو مجرّد حركة لا نتيجة لها في الواقع أي أنّه عبارة عن احتجاج غامض لا ينطوي على نظام أو مذهب [1].

و من خلال ما سبق تلخّص الأستاذة "حنان العنّاني" مختصّة في الصّحّة النّفسيّة التّمرّد في كونه «رفض الفرد لكلّ ما يوجّه إليه من فعل و قول و مقاومته ، حيث يجد أنّ تلك الأفعال و الأقوال لا تتّفق مع ما يحمله من قيم و آراء و اتّجاهات و مبادئ خاصّة به حتّى أنّ ما يوجّه إليه من فعل و قول صحيحا و في صالحه و قد يكون الرّفض من خلال الفرد نفسه أو من خلال تحريض الآخرين على الرّفض و يكون التّمرّد ايجابيّا متمثّلا بتغيير الوضع العام نحو الأفضل أو سلبيّا يتّجه بالفرد نحو الجنوح[2].

و في الأخير نستنتج أهمّ المؤشّرات على تعاريف التّمرّد :

1. سلوك لتغيير الواقع بقيمه و تقاليده ومعاييره.
2. رفض الأنظمة و القوانين التّي يضعها ذوو السّلطة في المجتمع و الأسرة
3. محاولة للحفاظ على الحرّية التّي تهدّد بالإزالة.
4. سلوك يدفع الفرد إلى تحريض الآخرين على رفض الواقع.

---

1) ينظر محمّد يحياتن : مفهوم التمرد عند البير كامو، ص 24-25.

2) ينظر العنّاني حنان عبد الحميد: "الصّحّة النّفسيّة "، دار الفكر للطّباعة و النّشر و التّوزيع، الطبعة 3، 2005، ص 149.

5. الضغوط و الإحباطات تدفع الفرد إلى التّمرّد للتّخلّص منها [1].

و انطلاقا من هذا فإنّ تمرّد جبران خليل جبران هو نتيجة حالات نفسيّة مرّ بها عبر حياته و نتيجة صدمات متوالية و كذلك لتأثّره بأدباء عالميين على رأسهم **"نيتشه"** و هم بدورهم رفضوا المجتمع و قوانينه الوضعيّة بأصنافها و أشكالها فتمرّد حينا و أحبّ حينا و لكنّه في الأخير لم يستطع الخروج من دائرة المجتمع و أعرافه رغم رفضه له.

1) ينظر العنّاني حنان : الصحة النفسية ، ص 150.

الفصل الأوّل

أسباب التمرّد في أدب جبران خليل جبران

I. المبـــــــحث الأوّل: الأسباب النّفسيّة و الاجتماعيّة

إن كثيرا من العوامل النفسية التي تدفع الفرد للإبداع و الإنتاج الفني بوجه عام و الأدبي بوجه خاص، مرده في رغبة الإنسان في التعبير عن محيطه الاجتماعي و تصوير آلام النفس و تحليلها وترجمتها وهذا ما حصل مع الفنّان و الأديب جبران خليل جبران اصطدم بالعوامل الخارجية والداخلية كالقهر الاجتماعي و الفقر و الهجرة و المرض ثم المـوت .والذي كان يزعج جبران في عالم الناس «أنّهم مختلفون عنه و لا يطمحون إلى التغيير ويرضون بما هو كائن ،فالطموح والتمرد والثورة ليس من طباعهم وإنما غدا التزييف مركوزا في هاتيك الطباع،لذا فالإقامة بينهم لم تعد تلاءم هذا العاشق ،و إنما هي هموم متواصلة و يأس مخيم بأسراب البـــــوم »[1]. فلجأ إلى عالم التأمل و العالم العلوي عالم الروح للهروب من العالم الأرضي الفاني « هذا من جهة ومن جهة أخرى تأثره بأدباء الغرب و العرب ،فانتهل نزعته من عدة مناهل و تأثيرات تتقاطع فيما بينها :المسيحية، الإسلام،التصوف ،ديانات الهند الكبرى» [2]. و يكفينا دليلا على أن جبران «كان على صلة بعدد لا بأس به من المنتديات الأدبية الأمريكية» [3] ،كما تأثر بالثقافتين الانجلوسكسونية والثقافة الأوروبية و الصوفية العربية.

أ- الهجـــــــرة :

عندما يضطهد الإنسان في بيئته و على جميع الأصعدة اجتماعية ، سياسية،ثقافية و اقتصادية فلابد له أن يبحث عن بيئة جديدة تتيح له حياة أفضل وعيشة أكرم ينعم فيها بالأمن و الأمان و يكسر فيها قيود الفقر و الاضطهاد فليس هناك حل آخر سوى مغادرة

---

(1) **إبراهيم خليل :"مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث"**،دار الميسرة للنّشر ،عمّان-الأردن،الطبعة 1 ، **1424هـ/2003م** ،ص **124**.

(2) **اسكندر نجّار:"جبران خليل جبران"** ،نقله عن الفرنسية بسّام حجّار ،دار النهار للنشر،بيروت –لبنان،الطبعة **1**،أيلول **2006** ص **154**.

(3) **صابر عبد الدايم:"أدب المهجر دراسة تأصيلية تحليلية لأبعاد التجربة التأملية في الأدب المهجري "،دار الكتاب الحديث،القاهرة الطبعة 1 ،2010** ،ص **245**

الوطن والهجرة إلى غير بلاد، و هذا ما فعلته الأم "كاملة رحمة" حينما حملت أبناءها الأربعة و اتجهت مع قوافل المهاجرين إلى العالم الجديد.

ومن الأسباب المباشرة التّي دفعت والدة جبران "**كاملة**"إلى السّفر مع المهاجرين اللبنانيين إلى أمريكا وبالضبط إلى بوسطن سنة 1895،تلك الديون المتراكمة على والد جبران، حيث استقرت العائلة المتكونة من "الأم ،وبطرس،وسلطانة،وماريانا ،و جبران" في حي الصينيين و هو أحقر حي يلجأ إليه المهاجرون على حد قول "**نعيمة**" و بدأت الأم في العمل هي و ابنها الأكبر بطرس «أما جبران فقد ألحق بمدرسة شعبية و بدأ في تعلم اللغة الانجليزية» [1]. لقد عاشت عائلة جبران فقرا واضحا و ظروفا صعبة ،وحياة بائسة ،لكن رغم ذلك استطاعت والدته توفير ما يكفل له العودة إلى وطنه الذي وصل إليه أوائل خريف 1897 وانتسب إلى مدرسة الحكمة ببيروت،أين تفرّغ لدراسة اللغة العربية وآدابها» [2]، و هناك تعرّف جبران على التراث العربي الزاخر فقرأ «كليلة ودمنة،ونهج البلاغة ،و ديوان المتنبّي ، بالإضافة إلى التوراة و الإنجيل.....» [3].

إنّ السفر و البعد عن الوطن و الأهل و الديّار و ترك الأصول ليس بالشّيء الهيّن و انطلاقا من ذلك يمكن القول «بأنّ عالم الهجرة هو عالم الانسلاخ و التجزؤ ،عالم القوت اليومي و السعي في سبيل الرزق، وعالم الوطن هو عالم الرّوح و السعادة و الوحدة ،فالازدواج قائم بين هذين العالمين اللذين لا لقاء بينهما ،و الحنين هو الجناح الوحيد الذّي يمكن أن يتجاوز الهوّة و الثّنائيّة ثنائيّة الوطن و الغربة إلى الكلّية و الوحدة» [4].

(1) **نزار هنيدي بريك:"جبران خليل جبران المجموعة الكاملة للمؤلفات المعربة"** ،دار و مؤسسة رسلان ،دمشق–سوريا 2013 ص 6-7.

(2) **ناصر إسماعيل محمّد :"جبران خليل جبران الأجنحة المتكسرة "** ،دار الهدى ،عين مليلة –الجزائر ،ص 5

(3) **ينظر نزار هنيدي** : بريك :المرجع السّابق ، ص 7.

(4) **ناصر اسماعيل محمّد** : المرجع السّابق ، ص 5.

ب- الموت:

لقد عانى جبران ألم الموت عدّة مرّات طيلة حياته و فقدان العائلة ألم لا يعادله ألم ، و الدارس لحياة جبران النفسية و الفنّية سيلاحظ ذلك الأثر الكبير الذي خلّفه الموت في نفسه «ففي نيسان 1902 بلغه خبر وفاة أخته **"سلطانة"** ممّا اضطرّه إلى ترك دراسته و العودة سريعا إلى بوسطن»[1].

وكانت هذه هي بداية الأحزان «ولم يكتف ملاك الموت بزيارته تلك لبيت جبران،فقد عاد بعد شهور لم تتعد العشرة واختطف أخاه بطرس» [2]. ثم لم تلبث أمه أن أصيبت بالمرض «ثم تلت ابنها في تلبية نداء ربّها ،و هكذا توالت الصدمات على جبران وكلّ ذلك في فترة وجيزة، والظاهر أن الداء الذي كان يشكو منه جبران هو السّلّ ، كان متفشّيا في الأسرة كلّها .ولعلّ هذا الدّاء نفسه هو الذي ساعد على تكوين مزاجه الأسود فانّ له أثرا في النّفس معلوم ،هو مزيج من الحزن والرّقّة معا » [3].

وقد ظهر أثر الموت كثيرا في نتاجات جبران الأدبيّة من شعر و نثر و في كلّ ما خطّته ريشته من رموز و أشكال «حتّى أنّه يقول في تفسير إحدى رسوماته وقد دعاها "فوّارة الألم" و ما الحياة كلّها إلاّ فوّارة من الألم » [4]. كما أنّ صديقته قد لاحظت إكثاره من رموز الموت فسألته إن كان هناك معنى آخر غير الموت و الألم الذّي نعرفه فأجابها:« لأنّ الموت والألم كانا نصيبي الأكبر من الحياة حتّى اليوم » [5]. و هو الأمر الذّي «أدّى بجبران إلى إطالة التّأمّل و كثرة التّفكير و صبغ حياته بصبغة روحيّة لم يتخلّص منها بعد ذلك ،و عناوين كتبه و مقالاته و قصصه تنضح بالألم

(1) **نذير العظمة :"جبران خليل جبران في ضوء المؤثرات الأجنبية دراسة مقارنة "**، طلاسدار ،اوتوستراد المزة ،دمشق –سوريا ،الطبعة1، 1987 ص 86.

(2) **نادرة جميل سراج: "شعراء الرّابطة القلميّة دراسات في شعر المهجر"** ،مكتبة الدراسات الأدبيّة ،دار المعارف،مصر، ص 290.

(3) صابر عبد الدّايم : أدب المهجر ،ص 94.

(4) نفس المرجع و الصّفحة .

(5) نادرة جميل سراج : المرجع السّابق ،ص 290.

و تشير إلى ما ينطوي داخله من جرح عميق» [1].

ت- الغربـــــــــــة النّفسيّـــــــــــة:

لعلّ لكل ما عاناه جبران من قهر عائلي و ظلم اجتماعي و تهجير وضيق الحياة عزّز من مشاعر الحزن والأسى و قد ضاعف الشعور بالألم ،ناهيك عن المرض ثم الموت الذي ألمّ بالأسرة لقد قابلته في حياته ظروف مليئة بالألم داعية إلى الغضب و الثّورة و موحية بالشّكّ و الاضطراب كما أنّه عانى «كغيره من المهجريّين الانفصام في بوسطن و نيويورك ،فخرج من الانفصام إلى الوحدة بالرّؤيا و النّبوءة» [2] . لقد عانى جبران من غربة نفسيّة و كآبة عميقة وقد عبّر عنها بقوله :« أمّا تلك الكآبة التّي اتّبعت أيام حداثتي فلم تكن ناتجة عن حاجتي إلى الملاهي لأنها كانت متوفّرة لديّ ولا عن افتقاري إلى الرّفاق لأنّني كنت أجدهم أينما ذهبت ،بل هي من أعراض علّة طبيعية في النّفس كانت تحبّب إلي الوحدة و الانفراد و تميت في روحي الميول إلى الملاهي و الألعاب ،و تخلع عن كتفي أجنحة الصّبا و تجعلني أمام الوجود كحوض مياه بين الجبال .....» [3].

و هكذا فإنّ هذه الثّورة إذن هي« ليست ثورة وحيدة الطّرف على سلطات خارجية تعيش في المجتمع و مؤسساته ودوائره بل إنها أيضا ثورة روحيّة داخليّة هدفها استئصال القيود والأغلال التّي تحول بين الإنسان وروحه» [4].

وقد لعبت الهجرة الدّور الأكبر في تعزيز الهوّة بين الطبيعة الخضراء و أشجار الأرز وطبيعة أمريكا الصّناعيّة المليئة بمقوّمات الحضارة، فهو حين واجه هذه الحضارة عن كثب «وعرف حقيقتها السّافرة.....أعلن ثورته على الغرب من خلال روح الشّرق تماما كما فعل في الأوّل فقد أعلن ثورته على التّخلّف في الشّرق» [5].

---

(1) **ميخائيل نعيمة :"جبران خليل جبران المجموعة الكاملة لمؤلفاته العربيّة"**، دار صادر ،بيروت-لبنان الطبعة1 ،2002، ص**173-174**

(2) **نذير العظمة :جبران خليل جبران في ضوء المؤثرات الأجنبية دراسة مقارنة ،ص 87.**

(3) **ينظر ريموند قبعين :النّزعة الرّوحيّة في أدب جبران و نعيمة "، دار الفكر اللبناني ،ص 35-36.**

(4) نفس المرجع و الصفحة.

(5) ينظر المرجع السابق.

ولذلك فقد دفع « إحساس جبران بتناقض هذه الثنائيّة بين الشّرق و الغرب إلى التّمرّد على الوجود الخارجي و الثّورة على أوضاعه لذلك نشتم رائحة الغربة والحنين الدّائمين » [1] فيقول : «أنا غريب عن هذا العالم وفي الغربة وحشة موجعة تجعلني أفكّر بوطن سحري لا أعرفه،وتملأ أحلامي أشباح أرض فضّية ما رأتها عيني » [2].

من أسباب الاغتراب :

1- ***الأزمات الاجتماعية:*** تعمد بطبيعة الحال إلى زيادة حدّة الاغتراب عن المجتمع وربّما يعود ذلك إلى أنّ الأزمة التّي يمرّ بها المجتمع قد تزيد من الضغوط الحياتيّة [3]. «ولبنان في ذلك الزّمان مثله مثل هذا الزّمان كانت تسوده إقطاعيتان سياسيّة و دينيّة ،فلا عجب أن اتّخذ جبران من تينك الإقطاعيتين أهمّ المواضيع و القصص» [4].

2- ***الثّقافة الفرعيّـــة:*** الثّقافة الفرعية قد تبعث على الاغتراب في أحيان معيّنة و ذلك يعود إلى أن الأفراد و هم يحاولون الاندماج في الثّقافة السّائدة قد يواجهون صعوبات تتعلّق بالتّوافق مع معايير الثّقافة السّائدة و تمثّل أنساقها القيّمة [5]. لعلّ ثقافة أمريكا والحرّية التّي يتمتّع بها الشعب هناك قد شجّعته ليطلق العنان لقلمه من اجل الحديث عن الحقّ و الخير والشّرّ ويتأثّر بأسلوب الغربيّن ، كما أنّ حياة التّحرّر تلك وسّعت الهوّة بين المهاجرين وتلك الحياة الجديدة يقول جبران :« الحياة هنا طاحنة شبيهة بدواليب تحرّكها أيد خفيّة ليلا نهارا....فليس غريبا أن يحسّ هؤلاء القرويّون بالوحشة والضياع و أن ينضروا تبعا لذلك في الحياة من أساسها و يسألوا أنفسهم ما معناها؟ وما معنى

---

(1) **صابر عبد الدّايم :ادب المهجر ،ص 332.**

(2) **جبران خليل جبران : البدائع و الطرائف ، ص 90.**

(3) **ينظر إقبال محمّد رشيد صالح الحمداني "الاغتراب التّمرّد– قلق المستقبل** "،دار صفاء للنّشر ،عمّان ،الطبعة1، 1432 هـ/2011م ص145.

(4) **ميخائيل نعيمة** :المجموعة الكاملة لمؤلّفاته العربيّة ،ص 9.

(5) **ينظر إقبال الحمداني** : الاغتراب – التّمرّد – قلق المستقبل،ص 145.

وجودنا؟ فقذفت بهم الغربة الرّوحية مما جعلهم يشعرون بفجوة هائلة بين أمانيهم الثّقّافة و بين واقعهم المتناحر المتشكّك الحائر الذي يبحث عن الريّ و هو في قلب الأمواج» [1].

كما أنّ جبران قبل بلوغه سنّ الثامن عشر وأثناء تواجده في بيروت قد أحب فتاة جميلة تدعى **"سلمى كرامة"** لكن هذه الفتاة قد زوّجت غصبا لابن أخ المطران الذي لا يردّ له طلب دون الأخذ برأيها ،مع العلم أنّ هذا الزوج يكبرها بعدّة سنين وقد اختارها لأنها وريثة أبيها الوحيدة، فانقطعت عن مقابلة حبيبها الأوّل وهو جبران نفسه .« ومنذ ذلك الوقت بدأت ثورة جبران القويّة على رجال الدّين وسلطتهم التّي لا يقف في سبيلها حائل ، كما بدأ تمرّده على كلّ الشّرائع و التّقاليد التّي سنّها هؤلاء المتغطرسون من رجال الدّين لما حولهم من البشر الأغفال » [2].

ومن خلال كلّ ذلك نكتشف جلّ العوامل التّي أدّت إلى تكوين مزاج جبران ونفسيّته ممّا أدّى به إلى إطالة التّأمل في العالم العلوي و عالم الرّوح.

---

(1) **ينظر صابر عبد الدّايم** : أدب المهجر،ص 79-80.

(2) **نادرة جميل سراج**:شعراء الرّابطة القلميّة ، ص288.

II. المبـــــــــحث الثـــــاني : تأثّره بأدباء الغرب و العرب:

لقد انتهل جبران من عدّة مناهل عربيّة وأجنبيّة وتأثر بعدّة أدباء و فلاسفة فمثلا "نيتشه" كان من أهم المصادر الأدبيّة التّي بلورت شخصية جبران وأدبه،و كذلك "جان جاك روسو" و "أرنست رنان" ،أما "رالف والدو امرسون" و "وليام بليك" فقد لعبا دورا هاما في تكوين شخصيّة جبران ورؤياه ،أما الثقافة العربيّة و الصّوفيّة فانّ نتاجات جبران تدلّ على أنّه اطلع على كثير من نتاج أعلام الأدب و الفلسفة أمثال "المتنبّي" و "ابن الفارض" و " ابن سينا" و "ابن خلدون "و "الغزالي".

أ- جبران و الثّقافة الأنجلوسكسونيّة:

1)- "وليام بلايك William Blake": هو شاعر و رسّام انجليزي ، ولد في لندن "بريطانيا"1757م ،رسّام روحاني أقرب إلى التصوّف ، نحّات ،كان ينادي بسيادة و تفوّق الخيال على المنطق و المادّة في القرن 18م.من أعماله :"**مشاهدة شعريّة1783**" ،"**أغنيات البراءة 1789**"، "**أغنيات الخبرة1794**"،"**من أشهر قصائده النّمر** " توفي في 12 أغسطس1827[1].

"**بليك** " كان يؤمن بالكشف و الولادة الثّانية كما يؤمن بوحدة العالم و وحدة القيم ، و هو يؤمن بالرّؤيا و الإلهام و التّصوّر ،صوفيّ النّزعة ،يسلّ عالمه الجديد من رحم العالم القديم أو يكتشفه من خلال المعاناة والحدس و السّفر الرّوحي في العالم ،و "**بليك**" كذلك لم يوفّر الكنيسة من سياطه ولذعه لكونها مؤسسة تحوّل الإنسان إلى طقوسي كنسي و تكبّل قوى الحرّيّة فيه ،إلا أنّه لم يتنكّر للإنسان الأب يسوع ،ينبوع الحرّيّة و مصدر حياة إنسانية روحيّة أصليّة لا رمز تديّن أو طقس عبادة[2].

«قرأ جبران كلّ ما وقعت عليه يده من مؤلّفات "**بليك**" و ما كتب عنه و ما قيل فيه و أعجب به و بقوّة خياله و سعة تفكيره، و أعجب على وجه الخصوص بذلك التّمرّد على القوانين الصّارمة ، و العادات القديمة البالية وتلك الثّورة على العبوديّة الشخصيّة ،و على الحكومة و الدّين في كثير من الأحيان **فبليك** متمرّد ثائر يعجب متمرّدا ثائرا مثل جبران ،و نحن نعرف أنّ جبران قد تمرّد

(1) **ينظر حسن حجازي :من منتدى الديار اللندنيّة ،جريدة مستقلّة تعنى بشؤون النّاطقين بالعربيّة في بريطانيا و العالم ،تاريخ الدخول 2017/03/03.**

(2) **ينظر ندير العظمة** :جبران في ضوء المؤثّرات الأجنبيّة ،ص 104-105-112.

منذ صغره على الأوضاع التّي شاهدها و لم تعجبه في لبنان و ثار على سلطة رجال الدّين يوم وجدهم يستبيحون أموال النّاس و ممتلكاتهم و أرزاقهم باسم الطقوس الدّينيّة و كتب في هذا الموضوع فيما بعد عددا من مقالاته و قصصه، لعلّ أشهرها "**يوسف الفخري**"، و "**يوحنّا المجنون** ".وإذا لاحظنا مدى تأثّر جبران بحياة بليك و روحه و فنّه استطعنا أن نفسّر عناية جبران بالنّفس و الرّوح و العالم العلوي» [1].

ولعلّ من «أوجه الشّبه بين جبران و **بليك** أيضا أنّهما يؤمنان بالشّعر كنبيّ فقد أدرك جبران أنّ الشّرق مهد النّبوءات و موطن الرؤى ،و ملهم الرّوحانيّة إلى الغرب ، وأنّه وريث تراث حافل بالنبوءات و عليه فقد هيّأ نفسه لذلك الإرث فجاء بالنبيّ واختار له اسم "**المصطفى**" من أسماء النبيّ العربيّ» [2].

والملاحظ على أعمال جبران أنّ سيرة **بليك** قد سيطرت على تفكير جبران فقلّده و تشبّه به و تمسّك بأفكاره و أخذت نفسه بالسّير على منواله و محاولة تقليده في كلّ ما كتب ورسم، و غالبا ما كان يأتي على ذكره في رسائله و مما كتب رسالة إلى "**ماري هاسكل**" قائلا :« أمّا **بليك** فهو الإنسان الإله —و رسومه أعمق ما أخرجه الرّسم الانجليزي حتّى الآن ،و رؤياه ،بصرف النّظر عن أشعاره و رسومه هي أكثر ألوهيّة» [3].

و مهما كان الأمر «فانّ قصيدة جبران "المواكب" تكتسي أهمّية خاصّة لالتقائها في نواح كثيرة مع قصائد "**البراءة و التّجربة**" لبليك ،فكلاهما يحاول أن يعود بالنّبيّ آدم إلى الزّمن الذي انسلخ عن الله والطبيعة إلى ينبوع الحياة الحرّة الخيّرة ،و كلاهما يقف ضدّ السّلطات و المؤسّسات التّي تحاول أن تقتل الطبيعة في الإنسان، فيبشّر بليك بالولادة الثّانية عبر المسيح و يؤمن جبران بالعودة إلى هذه الحياة مرارا إذ أيقن أنّه جزء من الكلّ و قسم من الرّوح الكلّي الذّي يتناسخ منه إننا نتوحّد به

(1) **نادرة جميل سراج** :شعراء الرّابطة القلميّة ،ص 118.

(2) **ريموند قبعين** :النّزعة الرّوحيّة في أدب جبران و نعيمة ، ص 30.

(3) **اسكندر نجّار** : جبران خليل جبران ،ص 128.

عن طريق الحب أو الموت ، وما لم يتخلّل الحبّ كلّ أعمالنا و ينتظم نبض وحركة العمل و الزّواج و العطاء و كلّ المواضيع الأخرى التّي عالجها جبران في كتاب النبيّ» [1].

و من هنا فقد دعا جبران كما دعا **بليك** «إلى قلب الشّرائع ليقيم نظما جديدة في الأخلاق فهما يؤمنان بأسبقيّة القلب على العقل و بالجنون باعتباره منتهى العقل و أنّ **"دمعة وابتسامة"** التّي جعلها جبران عنوانا لأحد مؤلّفاته يبدو أنّها مستوحاة من شعر **بليك**» [2].

ولكن خلافا **لبليك** يمتاز عالم جبران بقدر كبر من صفاء السّريرة و بقدر أقلّ من العنف كما أنّه أقلّ تقبّلا لأفكار الجحيم ،و قوى الشّرّ المدمّرة والقيامة التّي كانت تشكّل هاجسا لدى مؤلّف **"قران السّماء والجحيم"** كذلك الأمر فانّ حلول الله يتجسّد و يكتمل في الطبيعة و ليس كما لدى بليك في المخيّلة الخلاّقة التّي يسمّيها العبقريّة الشّعريّة [3].

---

1) **نذير العظمة** :جبران في ضوء المؤثّرات الأجنبيّة ،ص 154.

(2) **ريموند قبعين** :النّزعة الرّوحيّة في أدب جبران و نعيمة ،ص 30.

(3) ينظر **اسكندر نجّار** :جبران خليل جبران ،ص 129.

2)-**رالف والدو امرسون** «RALPH WALDO EMERSON»:

ولد في بوسطن 25 مايو 1803 ،فيلسوف و شاعر و كاتب ،اشتهر بالفلسفة المتعالية في القرن19م، كذلك ماتت زوجته بمرض السّلّ ،كذلك كان له خلافات كثيرة مع مسئولي الكنيسة ممّا جعله يستقيل وقد كتب: "تعاملهم مع ذكرى المسيح لا تعجبني و هذا سبب كاف حتّى أستقيل " ، جال امرسون أوروبا في 1832م وكتب عن هذه الرّحلة ، توفي في 27أفريل 1882 من مؤلّفاته: "الرّوح الكلّي" "الطّبيعة"، "العشاء الرّبّاني" ،"الاعتماد على النّفس [1].

ولعلّ الفكر الأمرسوني قدّم « حلا لمشكلة الازدواج التّي كان يعانيها جبران وكلّ الأدباء المهجريّين الذين حاولوا أن يتجاوزوا واقعهم المعاشي في المهجر بالحنين إلى الوطن عالم الانتماء و الوحدة » [2]. تنطلق فكرة امرسون أنّ ثمّة جوهرا كلّيّا يسيطر على الطّبيعة و يتجلّى في كلّ جزء من أجزائها :في الشّجر ،في الرّياح ،في الأمطار و الإنسان جزء من الصّواب ،وتقيانه الزّلل ،لذلك وثق امرسون وأتباعه ثقة مطلقة بالإنسان و دافعوا عن حرّيته في العمل و التّعبير و العقيدة ،تأثّر جبران بهذا الاتّجاه الرّومنسي لأمرسون ،ومن ثمّ نشأ عنده مبدأ الاعتماد على النّفس و الاهتمام بحرّية الفرد و استقلاله بالعمل و الفكر و عدم احترام أيّة سلطة أو تقاليد تحدّ من استقلال الفرد أو تنال من حرّيته[3]. «آمن جبران مثل امرسون بالفكرة القائلة بأنّ: الرّوح تخرج من التوزّع و الانقسام إلى وحدتها الكلّية لابد لها من أن تخرج إمّا بوسيلة الحبّ أو بوسيلة الموت أو الاثنين معا» [4].

كما أنّ جبران قد جهر«بإيمانه المطلق بوحدة الوجود فهو دائما يرى صورته في الكلّ و يسمع صوته في كلّ الأصوات » [5]. وظهرت في قصص جبران آثار هذه الفلسفة منها قصّة"الشّاعر البعلبكي" و "البنفسجة الطّموح"و مسرحيّة "ارم ذات العماد" و قصّة "رماد الأجيال و النّار الخالدة " و قصّة " الشّيطان" [6].

---

1) **ينظر ويكيبيديا الموسوعة الحرّة.**

2) **ندير العظمة** : جبران في ضوء المؤثّرات الأجنبيّة ،ص 86.

3) **ينظر ريموند قبعين** : النّزعة الرّوحيّة في أدب جبران و نعيمة ، ص 31.

4) **ندير العظمة** :المرجع السّابق ،ص 82.

5) **صابر عبد الدّايم** : أدب المهجر ،ص 316.

6) ينظر نفس المرجع ، ص 324.

7) اقتباس من القرآن الكريم سورة الفجر

ب- جبران و الثّقافة الأوروبيّـــــــــــة :

1) *فريدريك نيتشه :*

ولد في 15أكتوبر 1844م، كان فيلسوفا ألمانيّا، ناقدا ثقافيّا، شاعرا لغويّا و باحثا في اللاّتينيّة و اليونانيّة، كان لعمله تأثير عميق على الفلسفة الغربيّة و تاريخ الفكر الحديث. كان من أبرز الممهّدين لعلم النّفس و كان عالم لغويّات متميّزا كتب نصوصا و كتبا نقديّة حول الدّين و الأخلاقيّة و النّفعيّة و الفلسفة المعاصرة الماديّة منها و المثاليّة الألمانيّة، وكتب عن الرّومانسيّة الألمانيّة و الحداثة أيضا عموما بلغة ألمانيّة بارعة يعدّ من بين الفلاسفة الأكثر شيوعا و تداولا. يعدّ أوّل من درس الأخلاق دراسة تاريخيّة مفصّلة .قدّم نيتشه تصوّرا مهما عن تشكّل الوعي و الضمير ،فضلا عن إشكالية الموت ، كان رافضا للتّمييز العنصري و معاداة السّامية و الأديان و لا سيما المسيحيّة لكنّه رفض أيضا المساواة بشكلها الاشتراكي من مؤلّفاته :"**الفلسفة في العصر المأساوي الإغريقي** " ،"**هو ذا الإنسان**".[1] "**هكذا تكلّم زرادشت**"[2] . و من أفكار نيتشه كذلك« أنّه يؤكّد كذلك على ضرورة الهدم قصد إيجاد قيم جديدة تقوم على أنقاض القيم القديمة البالية، ويكون ذلك بعد "موت الإله" ومن هنا انبثقت العدميّة الإلحادية و رفضا قطعيا لقيم المسيحيّة » [3].

إلاّ أنّه يصاب بمرض «الجنون سنة 1889م و يعاد إلى عائلته و يبقى إحدى عشرة سنة سجين الهذيان ثم يموت بتاريخ 25 آب 1900 » [4].

---

(1) ينظر موسوعة ويكيبيديا الحرّة

(2) **زرادشت** : من المسلّم به عند أكثر المؤرخين أنّ زرادشت رجل تاريخي و أنّه مؤسّس الدّيانة المجوسيّة ،لكن الزّمان الذي عاش فيه لا يزال مجهولا .وفي رواية أخرى يونانيّة أنّه عاش قبل حرب طراودة ب 6 آلاف سنة.

(3) **محمد يحياتن** : "**مفهوم التّمرّد عند البير كامو و موقفه من الثّورة التّحريريّة** "،ديوان المطبوعات الجامعيّة ،بن عكنون –الجزائر 1984 ص53-54.

(4) **جان غرانييه**: "**نيتشه**" **ترجمة علي بوملحم** ، مجد للنّشر و التّوزيع بيروت –لبنان الطبعة 1429،1هـ/2008م، ص 15.

وهكذا فقد تشرّب جبران من نيتشه «النّزوع إلى القوّة و تعلّم منه أن يرى الضعيف كالخنزير قذارة أمّا لحمه فلا يؤكل ، وكالجاموس خشونة ، أمّا جلده فلا ينفع ، و كالحمار غباوة ولكنّه يمشي على اثنين »[1]، «و ما من ريب أنّ جبران قد استوعب قدرا متّسعا من فكر نيتشه و فلسفته واستعان به على هدم البيئة القديمة للفكر الكنسي و البناء الاجتماعي و الاقتصادي لكنّه لم يقدّم بديلا كما فعل نيتشه»[2].

لقد قرأ جبران لنيتشه كتابه "هكذا تكلّم زرادشت"وتأثّر به أشدّ تأثّر «فثار على الجبان الذليل المستعبد و الخانع المتواكل ليحرّره من ضعفه ويجعله جديرا بالحياة التّي تحبّ العزم»[3] و تعبّر رسائل جبران عن تأثّره الشديد بزرادشت ،أبرزها رسالة إلى **"ماري هاسكل"** يقول فيها :« أنا مسرور لأنّك تقرئين زرادشت ، وكم أحتاج أن أقرأه معك بالانجليزيّة»[4] ، ثمّ قال في رسالة أخرى :« لقد نهل نيتشه عباراته من روحي قطف ثمار الشّجرة التّي كنت أقصدها»[5] ،وهذا دليل على أنّه وجد فيه ضالّته حيث تقاسم معه نفس الأفكار و نفس الفلسفة ويؤكّد على ذلك حين يقول في رسالة أخرى لمس **"أديل واطسن"**:« بلى ، نيتشه جبّار وأيّ جبّار، كلّما طالعته زاد حبّك له ،لعلّه بين أرواح العصر الحديث أكثرها نشاطا و أوفرها حرّية ،وستبقى كتاباته بعد أن يمضي الكثير ممّا نحسّه اليوم عظيما ،أرجوك أن تقرئي "هكذا تكلّم زرادشت"»[6].

وهكذا ثار جبران مع زرادشت نيتشه على الظلم و السّيطرة و كان هذا المؤلّف في نظره أعظم ما عرفته كلّ العصور وبيّن ذلك ميخائيل نعيمة في قوله :« ثار جبران مع نيتشه لا على الحكّام و الرّهابين وحدهم ،بل على جميع النّاس و تقاليدهم و مقاييسهم و موازينهم ، و على الأسس الواهية

(1) **ريموند قبعين** :النزعة الرّوحيّة في أدب جبران و نعيمة ،ص 33.

(2) **ندير العظمة** :جبران في ضوء المؤثّرات الأجنبيّة ، ص 200.

(3) **ريموند قبعين** :المرجع السّابق ، ص 34-35.

(4) **اسكندر نجّار** : جبران خليل جبران ، ص142.

(5) نفس المرجع و الصّفحة.

(6) **ميخائيل نعيمة** :"**جبران خليل جبران** "،دار نوفل ،بيروت- لبنان ،الطّبعة 13،2009م.

التّي أقاموا عليها صرح حياتهم فلا أديانهم ولا سياساتهم ولا فلسفاتهم حرّرتهم من الخوف و الذّلّ و العبوديّة و المسكنة بل أنها على العكس من ذلك مكّنت في نفوسهم مخاوف و رذائل لا حصر لها إذ قضت على الإرادة الخلاّقة فيهم التّي هي وحدها الكفيلة بأن تبلغ بهم الإنسان الأمثل أو الإنسان المتفوّق»[1].

وقد ظهر أثر نيتشه في مؤلّفات جبران خاصّة في مقالات العواصف ولعلّ أشهرها "حفّار القبور"و "العبوديّة" و "الأضراس المسوّسة"،ثمّ توشك على النّهاية في "المواكب " ليستعيد جبران بعد ذلك صفاءه النّفسي و انسجامه الدّاخلي ومن هنا « يمكن أن نفهم هذا الاضطراب الذّي أصاب شخصيّة جبران بعد اتّصاله بنيتشه فقد حاول هذا العملاق أن يقضي على مثال جبران فعطّل نموّه و فجّر طاقاته في مسالك مسدودة ،فضاع واستمرّ ضياعه حتّى عاد من جديد إلى العقيدة و المثال فانفتحت الأبواب و انصرفت الطاقات في مسالكها الطّبيعيّة فوجد نفسه ومكث فترة في حيرة و تردّد ثمّ قفز إلى مرحلة "النبيّ" و ليس معه من نيتشه غير روعة الأسلوب و سحر بيانه ،و بالرّغم من التّأثّر الأسلوبي ظلّ الجوهر الجبراني بعيدا عن المضمون النّيتشوي »[2].

---

(1) **ميخائيل نعيمة** : "المجموعة الكاملة لمؤلّفات جبران العربيّة" ، ص 25.

(2) **ريموند قبعين** :النزعة الرّوحيّة في أدب جبران و نعيمة ، ص 35.

2) ***جان جاك روسو*** :

هو فيلسوف و موسيقي و ناقد اجتماعي و كاتب سياسي ، كما أنّه يعدّ من أكثر عمالقة عصر التّنوير تأثيرا ،ولد في 28يونيو 1712م في مدينة جنيف بسويسرا كانت فلسفته السّبب الذّي أدّى إلى قيام الثّورة الفرنسيّة أسّس عدّة نظريّات أشهرها **"العقد الاجتماعي"** و نظريّة تربويّة في كتابه "إميل أو عن التّربية " كما ألّف عدّة كتب أشهرها **"الاعترافات وهيلواز الجديدة"** و رسالة في **"عدم المساواة"** توفي في 2 يوليو 1778م [1].

جبران ينطلق على غرار روسو من فكرة أنّ الإنسان خيّر بطبيعته و أنّ المجتمع يفسده و يلتقيان في معالجة الأمور بالأسلوب القصصي العام و كثيرا ما يسترسلان في تأملاتهما و يبعدان عن الواقع منخطفين إلى متاهات الأحلام[2]. وإننا إذ نقرأ المواكب نسمع فيها نبرة روسو مثلا :

ليس في الغابـــــــات حزن لا ولا فيها الهمـــــــوم

فإذا هبّ النّسيـــــــــم لم تجيء بعد السّـــــموم[3]

ففي القصيدة « يدعو بلسان الفتى إلى العودة إلى الطّبيعة مرموزا إليها بالغاب،لأنّ الطّبيعة في نظره رحم الإنسان و مصدر قوّته و سعادته ، و فيها يتوحّد الخير والشّرّ، و فيها تكمن بذرة التّناسخ و التّقمّص ، هذه العقيدة هي بمثابة العمود الفقري من بنية جبران الفكريّة و الفنّية »[4].

---

(1) ينظر ويكيبيديا الموسوعة الحرّة

(2) **ينظر ريموند قبعين** : النزعة الرّوحيّة في أدب جبران و نعيمة ،ص 30.

(3) **ينظر جبران خليل جبران : المجلّد 3 "الأجنحة المتكسّرة و المواكب "، الطّبعة 4، 1997.**

(4) **ندير العظمة** : جبران في ضوء المؤثّرات الأجنبيّة، ص 178.

ج- جبران والفكر الصّوفي:

ما من ريب في أنّ ما ورثه جبران من الثّقافة العربيّة يشكّل لبنة رئيسيّة من لبنات المعمار الجبراني ، فقد قرأ الشّعر العربي و الفلسفة العربيّة ،فأعجب بابن الفارض ، كما فتنته قصيدة ابن سينا في النّفس بعد أن أجرى مقارنة بينها و بين أبيات شكسبير، و شيلي، وغوته ،يقرّ أنّ الشيخ الرئيس قد تقدّم جميع هؤلاء بقرون عديدة فوضع في قصيدة واحدة ما هبط يصور مختلفة ومتقطّعة في أزمنة مختلفة و هذا ما يجعله نابغة لعصره و للعصور التّي جاءت بعده ، كما يبدي إعجابه بالغزالي الذّي يعتبره أقرب إلى جواهر الأمور [1].

ويمكن أن نجد ملامح الفكر الصّوفي في عدّة أعمال لجبران منها :قصيدة "سكوتي إنشاد"،و حكاية "ارم ذات العماد" التّي تمثّل ذروة التّأثّر بالأفكار الصّوفيّة كذلك نجد تعليقات على ابن الفارض و ابن سينا والغزالي [2].

1) جبران و ابن سينا :

تستأثر قصيدة ابن سينا في النّفس باهتمام جبران. و ابن سينا هو من الفلاسفة المسلمين الذّين انتهوا إلى التصوّف رغم انشغاله طول حياته بالنّظر الفلسفي [3]، فقرأ له قصيدته المشهورة في **"النّفس"** التّي يعبّر فيها ابن سينا عن«الصّراع بين الجسد و النّفس التّي تحاول التّحرّر من المادّة لتعود إلى موطنها الأصلي »[4]. و لجبران رأي حول هذه القصيدة في مقالته ابن سينا و قصيدته إحدى مقالاته المنشورة في البدائع و الطّرائف :ليس بين ما نظمه الأقدمون قصيدة أدنى إلى معتقدي و أقرب إلى ميولي النّفسيّة من قصيدة ابن سينا في .فكأني به قد بلغ خفايا الرّوح عن طريق

---

(1) **ينظر نزار هنيدي** : المرجع السّابق ، ص 10-11.

(2) **ينظر جبران خليل جبران : المجلّد 5 "البدائع و الطّرائف" ، الطّبعة 4 ، 1997 ، ص25.**

(3) **ينظر نذير العظمة** : جبران في ضوء المؤثّرات الأجنبيّة، ص 212.

(4) **نازك سابا يارد** : **"جبران خليل جبران البدائع و الطرائف"**، طلاسدار –دمشق ،ص 22.

المادّة و أدرك مكنونات المعقولات بواسطة المرئيّات ، فجاءت قصيدته هذه برهانا نيّرا على أنّ العلم هو حياة العقل يتدرّج بصاحبه من الاختبارات العمليّة إلى النّظريات العقليّة إلى الشّعور الرّوحي إلى الله ....فوضع في قصيدة واحدة ما هبط بصور متقطّعة على أفكار مختلفة في أزمنة مختلفة و هذا ما يجعله نابغة لعصره و للعصور التّي جاءت بعده [1].

ومن ذلك نستنتج أنّ جبران قد نهل و استفاد من هذه القصيدة في ثلاث نواح هي :

1) كون القصيدة توافق معتقداته و ميوله.

2) من حيث قيمتها الموضوعيّة، فقد وضع فيها الشّيخ ابن سينا أبعد ما يراود فكرة الإنسان و أعمق ما يلازم خياله من الأماني و النظريات التّي لا تصدر إلا عن التّفكير المستمرّ و التّأملات الطويلة

3) يؤكّد على دلالة القصيدة و أهميتها في التّطوّرات الرّوحيّة و النّفسيّة التّي مرّ فيها الشّيخ مبتدئا بالمادّة و منتهيا بالنّفس [2].

(1) ينظر جبران خليل جبران :البدائع و الطّرائف ،ص 109-110-113.

(2) ينظر ندير العظمة :المرجع السّابق ، ص 213-214.

2) جبـــــــــــران و الغزالي:

الغزالي هو محمّد بن محمّد بن أحمد،أبو حامد الغزالي الطّوسي ، نسبة إلى بلدة طوسة ، ولد سنة 450هـ لقّب ب حجّة الإسلام ،توفي في 14 جمادى الثّانية سنة505هـ، من آثاره 228 مصنّف كان جلّها في الدّين و الفلسفة و التّصوّف و التّاريخ [1]، «له بصمة واضحة في عدّة علوم مثل:الفلسفة والفقه الشّافعي و علوم الكلام و التّصوّف و المنطق»[2] ، لقد عرف كأحد مؤسّسي "المدرسة الأشعريّة" في علم الكلام ،له كتاب مشهور"إحياء علوم الدّين"يعدّ خلاصة لتجربته الرّوحيّة[3] ، «إنّ قيمة الغزالي الفلسفيّة تظهر في قوّة نقده للنّظريّات الفلسفيّة وقد نجح في معالجة الخلاف بين الفلسفة والدّين»[4].

كتب جبران مقالة عن الغزالي في كتابه البدائع والطّرائف كذلك هنا قد رجّح كفّة الغزالي على كفّة علماء الغرب في قوله :« بين الغزالي و القدّيس أغوسطينوس رابطة نفسيّة فهما منظران متشابهان لمبدأ واحد رغم ما بين زمانيهما و محيطهما من الاختلافات المذهبيّة و الاجتماعيّة غير أنّني وجدت الغزالي أقرب إلى جواهر الأمور و أسرارها من القدّيس أوغسطينوس و للغزالي عند مستشرقي الغرب و علمائه منزلة رفيعة وهم يضعونه مع ابن سينا و ابن رشد في المقام الأوّل بين فلاسفة الشّرق»[5].

---

(1) ينظر **عبد السلام السيّد** :"**موسوعة علماء العرب**" ،الأهليّة للنّشر و التّوزيع ،عمّان-الأردن ،الطبعة 2،2011 ، ص 204-206.

(2) **عبد الأمير الأعسم** :"**الفيلسوف الغزالي**"، دار قباء ، 1998،ص 21.

(3) ينظر ويكيبيديا الموسوعة الحرّة.

(4) **مصطفى فتحي** :"**موسوعة أعلام الحضارة الإسلامية**" دار أسامة للنّشر و التّوزيع ،عمان- الأردن، الطبعة 1،2015 ، ص 276-277.

(5) **جبران خليل جبران** : البدائع و الطرائف ، ص 114-115.

3) جبـــــــــران و ابن الفارض:

هو أبو حفص شرف الدّين عمر بن مرشد الحموي ، أحد أشهر الشعراء المتصوّفين كانت أشعاره غالبا في العشق الإلهي حتّى أنّه لقّب ب **"سلطان العاشقين"**، ولد في مصر سنة 576هـ /1181م سلك طريق الصّوفيّة و الزّهد ، توفي سنة 632هـ/1235م و دفن بجوار "المقطم" من مؤلّفاته :ديوان ابن الفارض عدد أبياته 1850 موضوعه هو الشّعر الصّوفي في الحبّ و الخمر[1].

أعجب جبران بفلسفة ابن الفارض و روحانيّته فقال عنه :« هو روح نقيّة كأشعّة الشّمس ،و قلب متّقد كالنّار ،و فكرة صافية كبحيرة بين الجبال ، وهو إن كان دون الجاهلين عزما وأقلّ من المولّدين ظرفا ففي شعره ما لم يحلم به الأوّلون وما لم يبلغه المتأخّرون كان يغمض عينيه عن الدّنيا ليرى ما وراء الدّنيا ،و يغلق أذنيه عن ضجّة الأرض ليسمع أغاني اللاّنهاية »[2].

ابن الفارض على حدّ تعبير جبران « تشرّب من خمرة الرّوح فتسكر ثمّ تهيم سابحة مرفرفة في عالم المحسوسات حيث تطوف أحلام الشّعراء و ميول العشّاق و أماني المتصوّفين ثمّ يفاجئها الصّحو فتعود إلى عالم المرئيّات »[3].

من خلال ما مضى نستنتج أهمّ العوامل المؤثّرة في تكوين شخصيّة جبران الأدبيّة ومزاجه الأدبي ، ولعلّ أبرزها الظروف الاجتماعيّة التّي عاشها فمن سجن والده ثمّ هجرته برفقة عائلته إلى بوسطن التّي كانت في أوج حضارتها إذ أنّها كانت تسمّى أثينا الأمريكيّة" كانت تشكّل مركزا فكريّا حيويا اجتذب فنّانين مشهورين وواعدين حيث كان لجوّ بوسطن الذّي نشأ فيه أثر في إذكاء ثورته على التّقاليد و النّظم البالية في المجتمع الشّرقي ،و ذلك عندما أحسّ بالتّناقض بين جوّ الحرّية

(1) ينظر ويكيبيديا الموسوعة الحرّة

(2) **جبران خليل جبران** :البدائع و الطّرائف ،ص 144.

(3) **ندير العظمة** :جبران في ضوء المؤثّرات الاجنبيّة ، ص 221.

الفكريّة الاجتماعيّة ،السّياسيّة في بوسطن وبيئته الشّرقيّة ، كما لا ننسى قوّة الموت التّي اختطفت أفراد عائلته الواحد تلو الآخر ،و ما لعبه من دور في تكوين شخصيّته الكئيبة بالإضافة إلى الفقر و الغربة.

ومن خلال دراستنا للثقافة الغربيّة في أدب جبران اتّضح لنا أنّ جبران مدين بالقسم الأكبر من ثقافته لأدباء القرن 19 ومفكّريه في أوروبّا و أمريكا و إن له جذورا ثقافيّة متعدّدة في الشّرق و الغرب كما نلاحظ أنّ الأدباء و المفكّرين الذين أعجب بهم و تأثّر بهم كانوا من أصحاب المذاهب الفكريّة المتميّزة و هم أقرب إلى المثاليّة منهم إلى الواقعيّة .أمّا عن الثّقافة العربيّة فلم يكن ابن سينا الوحيد الذي أعجب به جبران فهناك أيضا ابن الفارض شاعر الحبّ الإلهي كذلك الغزالي و أبو العلاء المعرّي و قد رسم لكلّ هؤلاء صورة خياله ضمّنها في كتابه البدائع والطّرائف كما نجد مؤثّرات الفكر الصّوفي في أدب جبران في قصيدة "سكوتي إنشاد"و تعليقات نقديّة على الغزالي و ابن سينا وابن الفارض و حكاية ارم ذات العماد.

الفصل الثّاني

مظاهر التّمرّد في أدب جبران

I. المبحث الأوّل:تمرّده على السّلطات :

تتميّز آثار جبران العربيّة بنوع من المرارة و خيبة الأمل إذ أنّ هدفه هناك كان الإشارة إلى أمراض المجتمع و إصلاحه ،فيتحدّث بلسان المصلح منتقدا ظلم المجتمع للمرأة ،كما يشن هجوما عنيفا على رجال الدّين و الإقطاعيين و استغلالهم لسلطتهم كما أنّه يعبّر عن ثورته ضدّ القيود الصارمة التّي يفرضها على الفرد مجتمع في عهد التعصّب و التّخلّف فلبنان في ذلك الزمان كانت تسوده إقطاعيّتان سياسية و دينيّة لذلك جاءت مواضيعه تكاد تنحصر في موضوعين جور التقاليد البشريّة و جور الحكّام ،كما أنّه يطالب بالحرّية فهي وحدها تحقّق إنسانيّة الإنسان فيقول :"أحببت الحرّية فكانت محبّتي تنمو بنموّ معرفتي عبوديّة النّاس للحور العين و تتّسع باتّساع إدراكي خضوعهم للأصنام المخيفة التّي نحتتها الأجيال المظلمة و نصّبتها الجهالة المستمرّة" و لذلك يعلن ثورته على الحكّام و الأمراء و رجال الدّين و الإقطاعيين و الأغنياء الذين يتحالفون فبما بينهم ضدّ جماهير البشريّة.الفقراء و المستضعفين وهو يرى في تحالفهم الأسود هذا كلّه علّة مزمنة قابضة بأظافرها على عنق الجامعة .

أما على صعيد الشكل و الأسلوب أطلق جبران لغة جديدة تجاوبت مع روح العصر قوامها كلمة نديّة ،حيّة،معبّرة كما تميّز أسلوبه بالمجاز الرّمزي و العفويّة الشّفّافة و الخيال المجنّح الجامح كما نلمس هروبه إلى أحضان الطبيعة بنقاوتها من صخب المدينة و ضوضائها فجاءت كتاباته مليئة بالتّأمّل و غموض الرّؤية كما هو الشّأن عند الشعراء الرومانسيّين. كما جدّد في الأوزان و القوافي معلنا انطلاق الشّعر من سجون الماضي الغابر ومن الموضوعات القديمة التّي لم تعد تثمر شيئا ولا تستطيع أن تلبّي متطلّبات العصر و رغباته ولا تعبّر عن النّفس البشريّة و لا الغربة الرّوحيّة ،فنضم عدّة قصائد على نظام الموشّحات لكنّه لم يلتزم بهيكل القصيدة الجاهليّة ، وكل هذا سنكتشفه من خلال عرضنا للموضوع بأكثر دقّة و تعمّق.

1. تمرّده على السلطة الدّينيّة:

يعدّ جبران من منتقدي علماء الدّين و يرى أنّهم استغلّوا الدّين لاستغلال النّاس و جعلوه آلة للوصول إلى سلطانهم المادّي و المعنوي كما اعتبر جبران أنّ « المؤسّسة الدّينيّة أديرة و كنائس أرسخ من المؤسّسة الاقتصاديّة ،و أعمق عقيدة و أكثر تنظيما ،فتحدّى سلطانيهما و اتهمهما بالجنون و الكفر»[1] .

وجبران ينتقد الشّريعة لأنّ رجال الدّين يسرقون من الضّعفاء بضاعتهم و أموالهم و يرى بأنّ النّاس قد وضعوا أعناقهم و مصيرهم في قبضة رجال الدّين و ينفّذون ما يأمرونهم كما أنّ هؤلاء يستغلّون سذاجة العامّة لقضاء مصالحهم «اعتقد جبران أنّ السّيطرة الدّينيّة على الرّوح الإنسانية نوع من الاستعمار النّفسي و السّيطرة السّياسيّة أو الإقطاعية شكل من أشكال الاستعباد و الإذلال الجسدي و المعنوي»[2]، وجاءت مقالة "يوحنّا المجنون" التّي نشرت في عرائس المروج كتصريح واضح لموقف جبران من الدّين و الرّهبان« فهو بعد أن يوقظ فيك الشّفقة على بطل القصّة و التّقزّز من فظاظة الرّهبان الذّين حبسوا عليه عجوله لأنّها ارتعت القليل من زرع الدّير ، يعود فيجعل من ذلك الفتى القروي الساذج خطيبا ، يخطب في الجماهير المحتشدة في تكريس كنيسة جديدة مناجيا يسوع النّاصري»[3] ، « أنظر يا يسوع النّاصري الجالس في قلب دائرة النّور الأعلى ، أنظر أيّها الرّاعي الصّالح فقد نهشت مخالب الوحوش ضلوع الحمل الضّعيف الذّي حملته في منكبيك....إنّ صراخ البائسين المتصاعد بين من جوانب هذه الظلمة لا يسمعه الجالسون باسمك على العروش و نواح المحزونين لا تعييه آذان المتكلّمين بتعاليمك فوق المنابر....تعال ثانية يا يسوع الحيّ واطرد باعة الدّين من هياكلك فقد جعلوها مغاور تتلوّى فيها أفاعي روغهم واحتيالهم.... صرخ الرّئيس بهم قائلا :اقبضوا على هذا المجرم الشّقي و انزعوا منه

1) ندير العظمة :جبران في ضوء المؤثّرات الاجنبيّة ، ص 145.

2) **حسين رنجير :جبران و موقفه من الدّين ، ديوان العرب ، منبر حرّ للثّقافة و الفكر و الأدب .(الانترنت).**

3) ميخائيل نعيمة :المجموعة الكاملة العربيّة ، ص9.

الكتاب و جرّوه إلى حجرة مظلمة من الدّير فمن يجدف على مختاري الله لا يغفر له هاهنا و لا في الأبدية ، فهجم الرّهبان على يوحنّا هجوم الكواسر على الفريسة و قادوه مكتوفا إلى حجرة ضيّقة و أقفلوا عليه بعد أن أنهكوا جسده بخشونة أكفّهم و رفس أرجلهم»[1].

ومن خلال هذا القول وفي ذلك التّركيب اللّغوي الذّي يشبّه جبران الرّهبان عندما قبضوا على يوحنّا بالوحوش الكاسرة ،فهو «يحمل دلالة إيحائية كما يراه جبران بالنّسبة لما يؤمن به فالحقيقة التّي يراها هو أنّ هؤلاء الرّهبان مجرمون ولا يمثّلون العدالة والرّحمة التّي دعا إليها المسيح لذلك نجد السّمات الدّلاليّة التّي تحملها كلمة الرّهبان لم تعد موجودة أصلا و ذلك لتجاوزنا عنها بأسلوب التّشبيه و لا يدرك هذا التّوظيف إلاّ بتجاوز مستوى المطابقة و الانتقال إلى المستوى الإيحائي للمدلول المولّد من التّشبيه الذّي ترتفع بها الكلمات عن كونها مجرّد علامات لغويّة إلى كونها كائنات شعريّة تتفاعل دلاليّا ، و هذا يعمّق الإحساس لدى المتلقّين في بشاعة أولئك الرّهبان الذّين هم صورة لوحوش كاسرة»[2].

كذلك نجد أنّ قصّة "**خليل الكافر**" في كتابه الأرواح المتمرّدة يكاد يكون بروفا ثانية ليوحنّا المجنون مع بعض التّغيير فخليل كذلك في خصام مع الرّهابين و قد تحدّى سلطة الدّير و سلطة الشّيخ عبّاس« و هو كذلك يلقي محاضرة طويلة في مظالم الحكّام يلقيها بين يدي الحاكم »[3]«فوصم بالكفر و نبد وطرد من الدّير لأنّه يتكلّم بالحقّ الذّي جاء به يسوع،وآمن بالنّور الإلهي المنبثق من تعاليم الكتاب، فرفض الانقياد و العبوديّة ، و رفض أنّ ينزع عنه الإرادة و الفكر، و الميل و كلّ ما يختصّ بالنّفس كما أنّ خليل كان شديد الاقتناع أنّ سكّان هذه القرية لا يقبلون المطرودين من الدير جارا لهم و لا يسمحون له أن يتنفّس الهواء الذّي يحييهم لأنّهم يحسبون عدوّ الرّهبان كافرا بالله»[4].

---

1) **ينظر جبران خليل جبران :عرائس المروج "يوحنّا المجنون" ص 19.**

2) **يوسف الكوفحي : "اللّغة الإبداعيّة دراسة أسلوبيّة لأعمال جبران خليل جبران العربيّة"عالم الكتب الحديث ، اربد–الأردن ط1، 2011 ص105–106.**

3) ميخائيل نعيمة : المجموعة الكاملة لمؤلّفاته العربيّة ، ص 147.

4) ينظر حسين زنجير : الانترنت.

وهنا يظهر تأثّر جبران "**ببليك**" «و بخلاف أغلب قصص جبران فانّ قصّة خليل الكافر تنتهي بانتصار البطل و ثورة جبران فيها كثورة "**بليك**" رومانسيّة متفائلة تقوم على العودة إلى الطّبيعة التّي لم تفارق معتقد جبران في كلّ كتبه»[1].

من خلال هذين النموذجين نكتشف موقف جبران الرافض للشريعة بوصفها مبدأ بجميع رموزها ومن بين الرموز التي وظفها جبران بهذا الصدد " الكاهن" . فالكاهن في قصة "يوحنا المجنون " رمز التحجر والطغيان والجهل وهذا مما لا يمكن الخروج عليه إلا بجنون كجنون يوحنا، وهذا الجنون هو العقل الحقيقي مقابل الجهل الحقيقي الذي يمثله الكاهن [2] .

أما الكاهن في قصة "خليل الكافر" رمز الكذب والنفاق واغتصاب أموال الفقراء باسم سلطة الدين. وهو كذلك رمز الظلام والشهوة و العدوان واحتقار الشعب والابتعاد عنه. يقابله خليل بكفره أي برفض عالم الكهانة هذا، ورفض نورها الذي ليس ظلاما آخر وبإعلانه أن النور الحقيقي هو الذي " ينبثق من داخل الإنسان وان الحياة الحقيقية هي حياة الحرية.وهي التعب من اجل الناس بين الناس [3].

و الكاهن في قصة " الأجنحة المتكسرة " رمز الانفصام بين القول والعمل ، وهو كذلك الشريعة الفاسدة [4] كما يقول جبران « هكذا يصبح الأسقف المسيحي و الإمام المسلم والكاهن البرهمي كأفاعي البحر التي تقبض على الفريسة بمقابض كثيرة وتمتص دماءها بأفواه عديدة ».[5]

و الكاهن في قصة "صراخ القبور " رمز الشريعة الطاغية لأنهم حكموا بالشنق على رجل طرد من خدمة الكهان لأنه لم يعد قادرا على العمل فسرق بعض الدقيق من الدين [6].

---

1) نذير العظمة :جبران في ضوء المؤثّرات الأجنبيّة ، ص 147.

2) **ينظر ادونيس : "الثّابت و المتحوّل بحث في الإبداع و الإتّباع عند العرب صدمة الحداثة و سلطة الموروث الشّعري "دار السّاقي بيروت –لبنان الجزء 4 ، ط 10 ، 2011 ،ص 165.**

3) ينظر نفس المرجع والصفحة .

4) ينظر أدونيس :المرجع السّابق ،ص 166.

5) ينظر **جبران خليل جبران: المجلّد 3 "الأجنحة المتكسّرة و المواكب "**، الطّبعة 4، 1997،ص 20.

6) ينظر أدونيس : نفس المرجع و الصّفحة.

أمّا الكاهن في قصة "مضجع العروس " فهي رمز لمعارضة الإنسان في تفتحه الأسمى، أي الحب، وحين تمتم البطل سليم وهو يموت «إن الحياة اضعف من الموت والموت اضعف من الحب» [1]، كان يقول ذلك بلسان حبيبته. «يدا الحب أقوى من يد الكاهن» [2]، وينتحر الحبيبان توحيدا لرفضهما الشريعة والكاهن ولتمسكهما بالحب حتى الموت[3].

1) **ينظر جبران خليل جبران : المجلّد 2 "الأرواح المتمرّدة"، الطّبعة 4، 1997 ،ص72.**

2) ينظر نفس المرجع والصّفحة.

3) أدونيس : الثّابت و المتحوّل ، ص 166.

2. تمرده على السّلطة الإجتماعيّة:

كثيرا ما تحدّث جبران عن العادات و التّقاليد الإجتماعيّة و خاصّة الإضطهاد الذّي عانته المجتمعات الشّرقيّة و لعلّ قصة وردة الهاني «يمكن اعتبارها المعادل الأدبي لما كان يجري ولا يزال في الواقع من قهر المرأة وإرغامها على الزواج بمن لا تحب .لا لشيء إلا لأنه القادر على دفع الثمن .إما عواطف المرأة ومشاعرها وحقها في الاختبار فهي أمور ضرب بها المجتمع عرض الحائط.مما يؤدي إلى تلك الماسي التي مازالت تتكرر حتى اليوم في مجتمعاتنا »[1] ، ويعبر عنها جبران من خلال عدة أعمال«كما ثار على العادات و التّقاليد و رأى أنّ التّمسّك بموروث الماضي البالي ما هو إلاّ موت حقيقي»[2] ، يقول جبران: « إنّ بليّة الأبناء في هبات الآباء ،ومن لا يحرم نفسه من عطايا آبائه و أجداده يظلّ عبد الأموات حتّى يصير من الأموات»[3].

و ما مؤلّفاته : عرائس المروج 1906 ، و الأرواح المتمرّدة 1908 ،و الأجنحة المتكسّرة 1912 ،إلاّ صور من هذه الحياة المضطربة التّي ثار عليها و هذه الشّرائع و القوانين الصّارمة التّي كرهها و أظهر الحقد على من وضعوها و في قصّتي السيّدة وردة و مضجع العروس تعبير عن تمرّده على هذه الطّريقة التّي تتزوّج بها الفتيات في الشّرق العربي و كأنّهنّ سلع تباع و تشترى ، فهذا عجوز على حافّة القبر يتزوّج شابّة في ميعة الصّبا و جمال الشّباب ، و هذه أخرى تجبر على الزّواج من رجل غريب لا يمت إليها بصلة و لم تره قبل ذلك و لم تشعر نحوه بأيّ ميل فماذا تكون النّهاية؟[4].

و من بين النماذج التّي طرحها جبران في كتابه الأرواح المتمرّدة قصّة "السيّدة وردة" وهي « امرأة بعيدة الفكر ،صادقة القلب ، جميلة الوجه ،نبيلة الرّوح ، قد شاء لها أهلها يوم كانت لا تفقه بعد معنى الزّواج أن تكون زوجة لرجل غنيّ وجيه يفوقها سنّا بكثير»[5].

---

1) نزار هنيدي :المرجع السّابق ، ص 13.

2) نفس المرجع ، ص 16.

3) ينظر جبران خليل جبران : المجلّد 6 "العواصف"، الطّبعة 4، 1997، ص08.

4) ينظر نادرة سراج : شعراء الرّابطة القلميّة ، ص 289.

5) ميخائيل نعيمة : جبران المؤلّفات العربيّة ، ص 10.

فعاشت الحرمان العاطفي إلى أن التقت بالشّخص الذّي أيقظ شعلة عواطفها «فاستسلمت إليه ضاربة عرض الحائط بالتّقاليد مؤمنة بمن تحبّه بإرادة السّماء و نابذة من ألصقتها به شريعة الأرض»[1] ، فهجرت زوجها و التحقت بحبيبها غير مبالية بلواذع النّقد و كنه أوجاع المرأة عندما تقف نفسها بين رجل تجبر على حبّه[2] «و هي راضية بأن تكون منفيّة من الهيئة الاجتماعيّة لأنّ البشر لا ينفون إلا من تمرّدت روحه الكبيرة على الظلم و الجور فالقصّة من أوّلها لآخرها شكوى امرأة بليغة و مؤثّرة»[3].

أمّا اللّوحة الثّانية فهي قصّة **"مضجع العروس"** ليعود جبران إلى العزف على نفس الوتر وتر الزّواج التّعسّفي ، هي أقصوصة تدور أحداثها حول فتاة«شكّت في وفاء حبيبها فابتعدت عنه و صدّته استنادا إلى أخبار كاذبة وصلت إليها ، فدفعها اليأس إلى الاقتران بمن لا تحبّ و ليلة العرس وقعت عينها على حبيب الأمس بين الحاضرين فاضطربت و أبلغته أنّها تريد أن تلتقيه في مكان ما بالقرب من حديقة الدّار كي تسأله أن يعفو عنها بعد أن عرفت حقيقة الأمر لكن هذا الحبيب كان قد أحبّ غيرها ضنّا بسمعتها فطعنته بخنجر و لما أدركت قصده النّبيل طعنت صدرها بالخنجر عينه و لفظت أنفاسها فوق الجثّة الهامدة»[4]، ثمّ تلقي خطبة رائعة في«جمال الحبّ و قساوة التّقاليد التّي تحاول حصره و خنقه»[5] فتقول للنّاس :« أنتم لا تفهمون كلامي لأنّ اللّجّة لا تعي أغاني الكواكب .....وأنت أيّها الرّجل الغبيّ الذّي استخدم الحيلة و المال و الخباثة ليصيّرني له زوجة ، أنت رمز هذه الأمّة التّعسة التّي تبحث عن النّور في الظلمة و تترقّب خروج الماء من الصّخرة و ظهور الورد من القطرب »[6] .

---

1) **جميل جبر : "المجموعة الكاملة لمؤلّفات جبران خليل جبران العربيّة"دار الجيل –بيروت ، ص 40.**

2) ميخائيل نعيمة : جبران المؤلّفات العربيّة ،ص 10

3) نفس المرجع و الصّفحة.

4) جميل جبر : المرجع السّابق ، ص41.

5) **ميخائيل نعيمة : المجموعة الكاملة ،ص 11.**

6) ينظر جبران خليل جبران : الأرواح المتمرّدة " مضجع العروس"، ص 75-76.

أمّا في الأجنحة المتكسّرة فهي تلخّص قصّة الكاتب التّي عاشها في بيروت أيّام شبابه و دراسته فيها حين تفتّح قلبه على "حلا الظاهر" و قد صوّرها جبران بأسلوب رائع صابّا جامّ سخطه على المطران الذّي استغلّ نفوذه و سلطانه من أجل خطبة "سلمى" ،في "الأجنحة المتكسّرة" لابن أخيه منصور باعتبار أنّ "سلمى" هي وريثة أبيها الوحيدة و كلّ ذلك لضمان مستقبل ابن أخيه وقد وافق والدها راضخا لسلطة المطران و لم يأخذ رأيها في هذا الزّواج، فتزوّجت قسرا لكنّها لم تنقطع عن لقاء حبيبها الأوّل الفقير إلى أن خافت أن يفتضح أمرهما فاتّخذت القرار بالابتعاد عنه ،لكنّها ما لبثت أن لفظت أنفاسها الأخيرة أثناء وضعها لطفلها وما لبث أن لحق بها،و يصوّر جبران مشاعر الواقفين و همساتهم في ساعة الدّفن« كأن طفلها قد جاء ليأخذها و ينقذها من مظالم زوجها و قساوته....و قال أخر: غدا يزوّجه عمّه المطران ثانية من امرأة أخرى أوفر ثروة و أقوى جسما»[1]

من خلال هذه النّماذج نلاحظ كيف أنّ جبران يقف إلى جانب المرأة داعيا إلى تحرّرها «داعيا إلى أن تسلك بمقتضى حبّها و قلبها ،لا بمقتضى التّقاليد و كثيرا ما يمجّد المرأة التّي تتمرّد على هذه التّقاليد و تلبّي نداء حبّها "كوردة الهاني" التّي تركت زوجها الغنيّ لتعيش مع حبيبها الفقير و مريم بطلة قصّة "خليل الكافر" تقف معه بعد نبذه ، وتشاركه آراءه و سلمى بطلة قصّة "الأجنحة المتكسّرة" تؤثر الموت أي أنّها تختار الحبّ بدلا من الزّواج ، ويقف في قصّة "صراخ القبور" مع المرأة التّي فاجأها زوجها في لقاء مع حبيبها ، حيث ترجم عقابا و "الشّريعة العمياء" تعاقب المرأة في هذا الصّدد و تسامح الرّجل.

و يقارن جبران بين حال الأمّة و حال المرأة فيرى أنّ المرأة هي الأمّة بمنزلة "الشّعاع من السّراج" و هو في ذلك يقرن بين تحرّر المجتمع و تحرّر المرأة»[2].

---

1) ينظر جبران خليل جبران : الأجنحة المتكسّرة ، ص 76.

2) أدونيس : الثّابت و المتحوّل ،ص 169.

و يعبّر عن ذلك بقوله :

«أليست المرأة الضّعيفة هي رمز الأمّة المظلومة؟

أليست المرأة المتوجّعة بين ميول نفسها و قيود جسدها هي كالأمّة المعذّبة بين حكّامها وكهّانها؟

أليست العواطف الخفيّة التّي تذهب بالصّبيّة الجميلة إلى ظلمة القبر هي العواطف الشّديدة التّي تغمر حياة الشّعوب بالتّراب؟»[1].

1) ينظر جبران خليل جبران :الأجنحة المتكسّرة "عرش الموت" ،ص 50.

3. تمرّده على سلطة الإقطـــــــــاع:

للمجتمعات أحكام و قوانين تحكمها وسلطة شاملة تضبط حياة بني البشر ، وهذه السّلطة تتّخذ أشكالا عديدة كسلطة الوالد ،و رجال الدّين ، و الأغنياء فجبران اتخذ من هؤلاء مادّة لموضوعاته وهاجم مختلف مظاهر تلك السلطات ،و من بين الرّموز التّي ثار عليها سلطة "الإقطاع" بشكل عنيف أو الأغنياء إذ تلقوا من سهام عدائيّة العدد الأوفر سواءا أكانوا حكّاما سياسيّين أم أثرياء عاديّين،ففي الأجنحة المتكسّرة يصبّ جامّ غضبه و تحقيره على "منصور بك غالب" فيجعله « مادّيا كالتّراب و قاسيا كالفولاذ وطمّاعا كالمقبرة....تحتشد في نفسه و تتنازع عناصر المفاسد و المكاره مثلما تنقلب العقارب و الأفاعي على جوانب الكهوف و المستنقعات»[1]

كذلك في كتاب "عرائس المروج" ، نجد قصّة "ميرتا البانية" «و هي فتاة قرويّة بسيطة فقيرة الحال ، طاهرة القلب ، يغويها رجل من المدينة فتحمل منه و تلد غلاما ثمّ ينبذها وطفلها ، فترميها الحاجة في أحضان الدّعارة و يهتدي إليها المؤلّف و هي على فراش الموت ، فيدور بينهما حوار طويل ، فيقول جبران معزّيا[2]:« إي يا ميرتا ،أنت زهرة مسحوقة تحت أقدام الحيوان المختبئ في الهياكل البشريّة .... تعزّي يا ميرتا بكونك زهرة مسحوقة ولست قدما ساحقة»[3]. و يصوّر بشاعة ذلك الرّجل وما قام به من أعمال دنيئة مع الفتاة و مع ابنه الذّين نبذهما وتركهما بمفردهما ،فهو كذلك من أغنياء المدينة أمّا هي فتاة قرويّة لا تفقه من الحياة شيئا و تجيبه ميرتا مصوّرة حالها وما تعرّضت له من استغلال« نعم أنا مظلومة ، أنا شهيدة الحيوان المختبئ في الإنسان ، أنا زهرة مسحوقة تحت الأقدام »[4].

---

1) ينظر جبران خليل جبران: الأجنحة المتكسّرة ، ص 49.

2) ميخائيل نعيمة : المجموعة الكاملة ،ص8.

3) ينظر جبران خليل جبران : عرائس المروج ،"ميرتا البانية" ، ص 13.

4) ينظر نفس المرجع و الصّفحة.

كما نجد في مقالات "دمعة وابتسامة" عدّة مقابلات تتناول « الغنيّ و الفقير في عدّة مواقف ،مستهدفة تحقير الأوّل و تمجيد الثّاني،يولد ابن الأمير فتهتف الجموع و تهزج لولادته،غير دارين أنّه سيصبح حاكما مطلقا برقابهم ، و يولد في السّكينة ابن الأرملة الفقيرة التّي أمات رفيقها الضّعيف تعسّف الأمير المتسلّط بينما سكّان المدينة يمجّدون القويّ و يحتقرون ذواتهم و يتغنّون باسم المستبدّ و الملائكة تبكي على صغرهم»[1].

كذلك يجعل جبران من رموز السّلطة "الإقطاعي الغنيّ" «أمّا الكاهن فهو حليفه المباشر الأوّل ، و كما يقف جبران مع جميع أشكال التّمرّد على الغنيّ. وفي كثير من كتاباته يصوّر الفقير مسحوقا و الغنيّ ساحقا أو على مدينة الأغنياء التّي يسمّيها كذلك مدينة الأموات »[2].

كذلك في قصّة "خليل الكافر" نجد شخصيّة "الشيخ عبّاس نموذج عن الإقطاعي الفاسد و الحاكم الظالم إذ يسلب الفلاّحين أرضهم وعرقهم و يستغلّ نفوذه من أجل السّيطرة عليهم لكن خليل يستطيع ايقاض الفلاّحين من غفلتهم و إنارة بصيرتهم و التّحرّر من قبضته و سيطرته.

و في مقطوعته "طفلان" «يرى أنّ الفقر ميّت و أنّ الغنيّ بين خزائنه رمز للخوف ، وهي تشبه حياة الدّيدان في القبور و يذهب في هذه المقطوعة إلى أبعد من ذلك فيرى أنّ الفقر هو الذّي سيكون الأساس لتعليم الأجيال المقبلة معنى المساواة وكيف يكون »[3].هذا الازدراء و التّحقير نتيجة واقع جبران المادّي. من البديهي أن يشعر أي إنسان فقير بالكراهيّة تجاه الغنيّ إذ يعتبره المسبّب في كونه فقيرا فجبران لدى سفره إلى الو.م.أ وضع في مدرسة بالتّحديد في صفّ اللاّجئين الفقراء و المرتزقة.

كما نجد في مقالة "لكم لبنانكم ولي لبناني" في مؤلفة "البدائع و الطرائف" « تتجلّى

1) منتدى ليلاس : بحث عن جبران خليل جبران.

2) أدونيس :الثّابت و المتحوّل ،ص 166.

3) نفس المرجع و الصّفحة.

نقمة جبران على أصحاب النّفوذ في لبنان، فينتقد مطامعهم السّياسيّة و المادّية و زرعهم الانشقاق الحزبي لطائفي ليحّقّقّوا هذه المطامع « لبنانكم وفود ولجان لبنانكم طوائف و أحزاب....لبنانكم خطب و محاضرات و مناقشات»[1].

و يوجّه خطابا قاسيا لأصحاب السّلطة و السّياسة «و يهاجم حيلهم و ظلمهم ووعودهم الكاذبة و خضوعهم للأجنبي ينفّذون مآربه في لبنان مضحّين بمصلحة الوطن»[2].مخاطبا إياهم « لبنانكم شرائع و بنود على أوراق ، و عقود و عهود و دفاتر ، أمّا لبناني ففطرة في أسرار الحياة ....لبنانكم ينفصل آنا عن سوريا و يتّصل بها آونة ثمّ يحتال على طرفيه ليكون بين معقود ومحلول أمّا لبناني فلا يتّصل ولا ينفصل ولا يتفوّق و لا يتصاغر»[3].

1) ينظر جبران خليل جبران : البدائع و الطرائف ،مقالة لكم لبنانكم ولي لبناني، ص 39-40.

2) نازك سابا يارد : البدائع و الطرائف ،ص 8.

3) ينظر جبران خليل جبران : البدائع و الطّرائف ،مقالة "لكم لبنانكم ولي لبناني" ، ص 40.

II. المبحث الثّـــــاني:اللغة و الأسلوب:

لقد تأثّر شعراء الأدب المهجري بعوامل عدّة تحكّمت في إنتاجهم و رسمت خطوط توجّهاتهم و لعلّ أبرز هذه العوامل التّي رسمت عناوين انتاجاتهم بالخطّ العريض الغربة و الحنين إلى الوطن الأمّ ،كذلك احتكاكهم بالغرب الذّي كان في أوج حضارته و ازدهاره و بالتّيّارات الجديدة التّي كانت سائدة في القرن 19 منها : الرّومانسية ، الواقعيّة ،و الرّمزيّة.

وقد كان "للرّابطة القلميّة " التّي أنشأت سنة **1920** ،برئاسة جبران خليل جبران دور كبير في إحداث تحوّل في مجال سير الأدب العربي الحديث حرّيّة كبيرة في مجال الإبداع ، فقد منح شعراء الرابطة للأدب العربي حرّية كبيرة في مجال التّأليف موظّفين جميع ما توصّلت إليه الآداب الغربيّة من براعة التّصوير و صدق الشّعور و ذلك ممّا أدّى إلى إحداث تغيير كبير على مستوى الشّكل و المضمون معا. ومن بين أهداف الرّابطة ما يلي :

1. سهولة اللغة
2. النّزعة الإنسانيّة
3. النّزعة الرّومانسيّة
4. البعد عن التّكلّف و التّعقيد
5. التّأمّل و تقصّي جوهر الأشياء
6. الدّعوة إلى الخير و الجمال و قيم الحقّ
7. استعمال عناصر الطّبيعة و الرّمز لصياغة التّجربة الشّعريّة

كما اتّخذوا من جريدة "**السّائح**" منبرا لهم لنشر أعمالهم و كتاباتهم. و قد جسّد جبران أهداف الرّابطة في كلّ كتاباته إنّ لجوء جبران للطّبيعة مكّنه من مطابقة إيقاعاتها على أوتار شعره الذّي يلامس أعماق الذّات الإنسانيّة ، ثمّ التّرحال نحو الغربة التّغريب لاكتشاف عوالم جديدة هو من خصائص الأدب الرّومانسي.

1. الطّبيـــــــــعة:

لقد مال جبران إلى الطّبيعة و التغنّي بجمالها ، والهروب إلى أحضانها و قد كان ذلك « نتيجة الواقع الذّي عاشه في طفولته في لبنان ،حيث أدرك بحسّه المرهف النّافذ مدى الانفصام الحاصل بين فتنة الطّبيعة الخلاّبة ، و بين قسوة علاقات الحياة اليوميّة بين البشر ،فاختار الانحياز إلى الطّبيعة و سحرها ، و آمن أنّ في الطّبيعة قوى أكثر جدارة بإضفاء المعنى على الوجود البشري ، من تلك القوى المادّيّة التّي تستهلك روح الإنسان و جسده و ربّما كان هذا هو السّبب الحقيقي وراء اعتناقه لفكرة التّقمّص منذ المراحل المبكّرة من حياته ، و هو السّبب أيضا وراء تلك الرّومانسيّة الطّاغية التّي ترى في عالم الغاب الجنّة الموعودة ، حيث لا شرور و لا آثام و ليست سوى المحبّة و الجمال ، وهذا ما يفسّر ولعه الشّديد بذلك الأسلوب البلاغي المثير.الذّي قلّما يخلو منها نصّ من نصوصه وهي تجسيد الطّبيعة و موجداتها ككائنات تفيض بالحياة»[1]. و ما مقالاته السّاذجة من دمعة وابتسامة إلى عواصفه الثّائرة و ما قصص "ميرتا البانية" و"وردة الهاني" و "يوحنّا المجنون" و"خليل الكافر" سوى ردّ فعل لما علق بذهن جبران من حياة النّاس في لبنان، تلك الحياة التّي لم تعجبه و لم يألف مظاهرها الخادعة و أوضاعها المقلوبة فتمرّد وثار عليها و كتب محاولا إصلاحها و هكذا جاءت طبيعة لبنان في شعره مكتسية ثوبا من التّأمّل و الفلسفة و طابعا من الرّوح الإصلاحيّة التّي تميّز بها [2].

اعتبر جبران الطّبيعة «رمز الخير و الصّفاء و البراءة و الجمال و الحرّيّة و الكمال ، كلّما ابتعد المرء عنها فقدمن أصالته و ضيّع جذوره ،فمزّقه الحرمان»[3].

وكثيرة هي الكلمات المشتقّة الطّبيعة في «مختلف فصولها ، و عديد صورها ، وفيه تنبلج الحياة بأكملها : البيت ، الموقد ، السّراج ، الدّرب ، الحقول ، الكروم ، البيادر ، المعاصر ، الشّجر ، الورق ، الظّل ، الهمس ، براعم الزّهر ، الرّياحين ، ذوب الثّمر، العواصف ، الرّياح ، رائحة التّراب ،

1) نزار هنيدي بريك : جبران المجموعة الكاملة للمؤلّفات المعربة ،ص 10.

2) نادرة سراج :شعراء الرّابطة القلميّة ، ص 193.

3) جميل جبر : المجموعة الكاملة لمؤلّفات جبران العربيّة ، ص 55.

المطر الأوّل، الثلوج، السّواقي، الينابيع، البحر.... وما تعكسه في مخيّلته مرايا اللّيل و النّهار »[1].

فجبران يشتقّ من مظاهر الطّبيعة مظاهر مختلفة كلّها تدّعي أنّ الوجود يكمن فيها «فالغاب يدّعي أنّ العزم له و الصّخر يدّعي أنّه الرّمز إلى يوم الحساب ، و الرّيح تفصل بين السد يم و السّماء ، والنّهر يروي ظمأ الأرض و الطّود يقول انّني خالد إلى الأبد، و الفكر يقول ليس في العالم غيري من ملك. والبحر يعلّق في نفسه على كلّ هذه الادّعاءات معلنا أنّه بؤرة الوجود فيقول:"العزم لي ، و الرّمز لي ، و الرّيح لي ، و الطّود لي ، و الكلّ لي»[2].

و تبدو ملامح الطبيعة واضحة في قصيدة "المواكب" فهو يدعو بلسان الفتى العودة إلى الطّبيعة « مرموز إليها "بالغاب" لأنّ الطبيعة في نظره رحم الإنسان و مصدر قوّته و سعادته، فيها يتوحّد الخير بالشّرّ ، و فيها تكمن بذرة التّناسخ و التّقمّص ، هذه العقيدة التّي هي بمثابة العمود الفقري من بنية جبران الفكريّة و الفنّيّة»[3].

وأما عن أبرز سمات المذهب الرومانسي كما تجلى لنا في أدبه نذكر هروبه إلى أحضان الطبيعة، والتعلق الشديد بها، وهذه عادة الرومانسيين. الحالمين بالخلاص من فساد المجتمع والناس والأنظمة إلى طهر الطّبيعة البكر التي لم تعث فيها يد الإنسان فساداً بعد، فوجدوا فيها ملاذاً آمناً وجميلاً والطبيعة مصدر أسرار الشاعر جبران، يستلهم منها الحياة وكل ما فيها من تأمل وفكر وفلسفة، فهو يضفي على الطبيعة الحياة، بل ويتصور فيها روحاً كالإنسان، يناجيها فتتجاوب معه، ويناقشها فترد عليه نقاشه[4]. ويظهر تعلّق جبران الكبير بلبنان وطبيعته الجلاّبة من خلال رسوماته التّي تظهر فيها معالم الطبيعة واضحة حين ترى الجبال والأودية و المسالك المحفوفة بالزّهر و الهضاب

1) ينظر ريموند قبعين : النّزعة الروحيّة في أدب جبران و نعيمة،ص 86.

2) صابر عبد الدّايم : أدب المهجر، ص 468-469.

3) نذير العظمة: جبران في ضوء المؤثّرات الاجنبيّة، ص 178.

4) **ينظر العروبة: يوميّة تصدر عن مؤسّسة الوحدة للصّحافة و الطّباعة و النّشر – حمص، العدد14839، نيسان 11، 2017.**

الصّخريّة وينابيع المياه وغيرها ،كذلك نستشفّها من خلال رسائله إلى أصدقائه ،و من بين تلك الرسائل رسالة إلى ابن عمّه "نخلة" في 27سبتمبر 1910 « ألا تذكر تلك الحكايات اللذيذة التّي كنّا نسمعها أيّام الشّتاء بقرب المواقد، بينما الثّلوج تتساقط ، و الرّياح تولول بين المنازل؟ و هل تذكر تلك الحكاية التّي تخبر عن حديقة غنّاء ذات أشجار بهجة المنظر شهيّة الأثمار؟ و هل تذكر نهاية تلك الحكاية و كيف تحوّلت تلك الأشجار المسحورة إلى فتيان و رجال جاء بهم القدر إلى تلك الحديقة ، أنت بالطّبع تذكر جميع هذه الأشياء ، و لكنّك لا تعلم بأنّ جبران يشابه أولئك الفتيان المسحورين ، و أنّه مقيّد بسلاسل غير منظورة محكوم بفواعل خفيّة »[1].

1) يوسف عطا الطّريفي : "روائع جبران خليل جبران ، مختارات أدبيّة" ،الأهليّة للنّشر و التّوزيع ،الأردن ،ط1 ،2015 ، ص 15.

2. الرّمـــــــــــــز:

كذلك من مظاهر التّجديد عند جبران النّزعة التّأمّليّة و استعماله للرّمز و التّأليف بين المتناقضات حين جمع بين الوعظ و النّداء ، التّمرّد و الثّورة و عصبيّة المزاج إلى السّكينة و السّلم و الهدوء ، القناعة إلى الطّموح ، الاستسلام إلى الرّفض بتأليف طريف بين المتناقضات جعل رؤاه تدخل في قناعة قارئيه على اختلاف مذاهبهم و جنسيّاتهم و دهنياتهم ، قال "كلود براغدون" : «لقد تنزّلت على جبران القوى التّعبيريّة من معنى يفيض بالحيويّة الرّوحيّة و لولا هذا لما فاز بذلك الانتشار العظيم و تلك الفاعليّة في النّفوس»[1]. في أدب جبران يتنوّع الكلام بين الخبر و الإنشاء ، انّه يكثر من النّداء و الاستفهام «بما أنّ جبران عاش في مجتمعه منعزلا متمرّدا حاقدا على كلّ شيء فلا غرو أنّ مثل تلك الأساليب الاستفهاميّة هي تعبير عن فكره و مشاعره ولكي يثير المتلقّي و يجعله ثابتا معه في نفيه و تمرّده»[2]، و من الشواهد على الاستفهام قوله :« ألا فأخبروني ما هذه الشّعلة التّي تتّقد في صدري و تلتهم قواي و تذيب عواطفي و ميولي؟ و ما هذه الأيدي الخفيّة النّاعمة؟ و ما هذه الأجنحة التّي ترفرف حول مضجعي؟و ما هذا الذّي ندعوه حبّا؟....»[3] ،« أنّ تنوّع تلك الأدوات في الأسلوب الاستفهامي يشعر المتلقّي بمدى درجة الحيرة و القلق الذّي يمرّ به جبران تجاه عاطفة الحبّ و هي العاطفة التّي يمكن لنا أن نعتبرها المنعطف الحقيقي لحياة جبران بها تحوّل إلى إنسان متمرّد منعزل عن مجتمعه و قومه»[4].

و قد تميّزت العبارة الجبرانيّة بالإيضاح بعد الإبهام ، ويجمع النّقيض إلى نقيضه كما في قصيدة "سكوتي إنشاد" :

و في لوعتي عرسٌ ، وفي غربتي لقـا ... وفي باطني كشف ، وفي مظهري سرُّ

فلو لم أكن حيّا لما كنت مائتا ... و لولا مرام النّفس ما رامني اليقين

1) ريموند قبعين :النّزعة الرّوحيّة في أدب جبران و نعيمة ، ص 89.

2) يوسف الكوفحي : اللّغة الابداعيّة، ص 66.

3) ينظر جبران خليل جبران : الأجنحة المتكسّرة ، ص 20.

4) يوسف الكوفحي : المرجع السّابق ، ص 67.

و كثيرا ما استعمل جبران الرّمز في كتاباته « فالرّمز عنده متدرّج و متنوّع ، فهو يقوم أحيانا على الكلمة المفردة مثل: الجنون ، الغاب ، اللّيل ، البحر ، السّابق ، التّائه....الخ، أو العبارة و الأمثلة عليها كثيرة و خاصّة النّبيّ و المجنون مثل النّقطة في البحر ،الذّات الكبرى السّكينة العظمى برج في السّماء ،الذّوات السّبع ، الحنين الأعظم ، حفّار القبور ، وريقة عشب ، وريقة خريف و هو أحيانا أسطوري مثل ايزيس ، عشتار ، العنقاء ،بنات البحر.... أو تاريخي مثل هوميروس ، قيس، أبو العلاء أو ديني مثل: قبض الرّيح الجلجلة ،الصّلب ،اقتباسات من الإنجيل و القرآن»[1].

وقد أراد جبران أن يعبّر عن مصاحبة الحبّ له في جميع أطوار حياته فلجأ إلى الرّمز الزّماني الذّي يجعل من دورة اليوم دورة لكلّ دورات الحياة« فرمز للطّفولة بالفجر،و رمز للشّبيبة بالظّهر ، و رمز للشّيخوخة و مشيب الأحلام في عينيه بالغروب، و رمز للفناء باللّيل و تلك الرّموز و إن كانت تقليديّة لكنّها أعطت لتعبيره نفسا شعريّا قريبا من لغة الأحلام»[2].

يقول يوسف الكوفحي: «إنّ المفردات التّي سلمت من تجاوز جبران لدلالتها القاموسيّة أو الموروثة تشكّل نسبة محدودة من أدبه و لكنّها دخلت في صور و تراكيب مجازيّة أكسبتها مفهوما جديدا يبلوره الجوّ الذّي يتشكّل حولها المعنى الرّمزي الذّي يلفّها ، فقد حرّف المفردات عن معناها الأصلي ، و اكسبها دلالة مجازيّة أضيفت إلى دلالتها الأصليّة ،لتولّد شعريّة النّصّ فالنّبع عنده أعظم من نبع و الجداول وأكثر من مجرى ماء ، و الشّمس أكثر من كوكب ، كما أنّه بدل دلالات بعض الكلمات من السّلب إلى الإيجاب أو العكس فنقرأ مثلا : "دعوني أرقد فقد شبعت روحي من الأيّام و الليالي" فنعرف كيف تفارق الكلمة الجبرانيّة حضورها الأصلي إنسانا يريد أن يموت ليستمدّ حضورا آخر على مستوى حالة من حالاته النّفسيّة في الحنين إلى أصلها ، إنّها فنّية الكتابة و اشراقيّة الكلمة الجبرانيّة القادرة على النّفاذ و الفعل الجديد»[3].

1) ينظر أدونيس : الثّابت و المتحوّل ، ص 188.

2) صابر عبد الدّايم : أدب المهجر ، ص 419.

3) ريموند قبعين النّزعة الرّوحيّة في أدب جبران ونعيمة ، ص 87.

3. التّأمّـــــــــل:

الشّرقيّون يميلون بطبيعتهم إلى التّأمّل أكثر من غيرهم من الشّعوب الغربيّة و ذلك راجع إلى فطرتهم البدويّة و روحهم النّقيّة من صخب المدن و مصانعها وأكثر المهجريّين يميلون إلى التّأمّل و الانكماش ،فجبران يهرب إلى الغاب بحثا عن الطمأنينة و الرّاحة النّفسيّة و ازدحام المدينة و الهروب من القصور إلى الفقر ، كما نلاحظ على انتاجات جبران غلبة النّزعة التّأمّليّة سواءا كانت شعرا أو نثرا فهو يصوغ « أفكاره و معتقداته في النّفس و الوجود و الحياة »[1].« فالكتابة الرّمزيّة التّي تضمن للأدب وحدته الفنّية و العضويّة و ترتقي به إلى مستوى الفنون الجميلة تبدو خصبة في الأدب الجبراني انّه يحوّل القصّة إلى التأمل المصوّر ، ويجعل من أحداثها و أشخاصها و عقدتها رموزا فكريّة و مواقف مجسّدة و يبيّن جبران كيف "تقبع في قطرة الماء أسرار البحار ، و في ذرّة التّراب عناصر الأرض ،و في حركة واحدة من حركات الفكر كلّ ما في العالم من الحركات و الأنظمة"،انّه يصوّر المرئيّات رموزا لحالات روحيّة »[2]. و خير ما يعبّر عن ميول جبران إلى التّأمّل هو البلاد المحجوبة إذ يحاول جبران أن يفرغ في قالب قصصي« خلاصة ما توصّل إليه حتّى ذلك الحين من التّأمّل في الإنسان و مصدره و حياته و مآبه و في الزّمان و المكان ، و في الرّوح و المادّة ، و في الموت و الحياة بعد الموت، فيخلص إلى نتيجة واحدة هي كلّ ما في الوجود كائن في باطنك و كلّ ما في باطنك موجود في الوجود ، و ليس هناك حدّ فاصل بين أقرب الأشياء و أقصاها أو بين أعلاها و أخفضها أو بين أصغرها و أعظمها ،أمّا معرفة هذه الأمور كلّها فلا تتأتّى إلاّ عن طريق التّشوّق إليها ،و التّشوّق ميسور للجميع ففي مستطاع كلّ إنسان أن يتشوّق ثمّ يتشوّق ثمّ يتشوّق حتّى ينزع نقاب الظواهر عن بصره فيشاهد إذ ذاك ذاته ير جوهر الحياة المجرّد ، فكلّ ذات هي جوهر الحياة المجرّد»[3]. و يعبّر جبران عن هذا العالم الذّي تخيّله و اشتاق إليه باسم "البلاد المحجوبة" فيدعو صاحبته –أي نفسه– إلى مغادرة هذه البلاد المحسوسة التّي تحوله و التّي لم يجد فيها له صديقا وفيّا

1) صابر عبد الدّايم : أدب المهجر ، ص155.

2) ريموند قبعين : النّزعة الرّوحيّة في أدب جبران و نعيمة ، ص 87.

3) ميخائيل نعيمة : المجموعة الكاملة العربيّة ،ص15.

أو رفيقا مؤنسا ،و كيف يجد وهو من معدن مخالف لمعدن كلّ من حوله من النّاس و قلبه يمتاز بالجدّة و الإبداع بين قلوب بالية عتيقة و يستعدّ لرحلة معها في ضوء الصّباح إذ هو لا يطمئنّ لظلام الليل البهيم ، و لكنّه يحار كيف يصل إلى تلك البلاد و هو لا يعرف الطّريق إليها و ما يقف أمامه دونها من قفر، ومن الذّي يدلّه في هذه الرّحلة ؟ أيكون هو دليل نفسه أم نفسه دليله فيقول :

يا بلاد الفكر يا مهد الألى عبد و الحقّ وصلّوا للجمال

ما طلبناك بركب أو على متن سفن أو بخيل و رحال

لست في الشّرق و لا الغرب ولا في جنوب الأرض أو نحو الشّمال

أنت في الأرواح أنوار و نار أنت في صدري فؤادي يختلج [1]

إذن فانّ هذا العالم العلوي الذّي تخيّله غير موجود في الحقيقة و ما هو إلاّ اثر من نبضات قلبه المضطرب وفكره الحائر [2].

فالبلاد المحجوبة تقوم على الثّنائيّة إنّها نور و نار، و المواكب مبنيّة على الصّراع بين حياة المدينة وحياة الغاب، بين الفتى و الشّيخ....ولاشكّ أنّ هذا التّناقض صورة لنفسيّة جبران المتصارعة و لإحساسه الباطني دور في إنتاجه مثل هاتين القصيدتين و غيرهما فانّ كثيرا من الدّوافع النّفسيّة التّي تدفع الإنسان إلى الإنتاج الفنّي بوجه عام و الأدبي بوجه خاص مردّه إلى النّزعات الباطنيّة المكبوتة التّي تؤثّر في الحياة الشّعوريّة تأثيرا لا يشعر به الإنسان و شعوره بالغربة في بلاده المحجوبة و التّمرّد على المجتمع المادّي و الحضارة المزيّفة في المواكب مردّه إلى هذا الأثر النّفسي الذّي نشأ من إحساس جبران بثنائيّة نفسه و ازدواج العالم الخارجي من حوله.[3]

---

1) ينظر جبران خليل جبران :البلاد المحجوبة ، ص 149.

2) ينظر نادرة سراج جميل : شعراء الرّابطة القلميّة ، ص 137-183.

3) ينظر صابر عبد الدّايم :أدب المهجر ، ص333.

4. الثّورة على القوالب الأدبيّة:

كانت حياة جبران الأدبيّة ثورة في ذاتها ، فقد تزعّم الرّابطة القلميّة «التّي حملت لواء الثّورة على القديم ، و التّحرّر من قيود الأساليب و الأوزان و القوافي الموحّدة »[1]. « و نجحوا في إخراج الشّعر من تقديس القواعد التّي استنبطها الخليل منذ القرن 2هـ واضعين عنه أغلال القافية هادمين حيطان البيت ذي الشّطرين المتساويين واضعين هندسة جديدة و تصميما آخر هو صوب الحرّية و ابن التّلقائيّة لا ابن التّكلّف ، يوافق حرارة الانفعال و يجدّد الأفكار و فردانيّة التّأمّل هذا الشّعر الذّي لا تتحكّم فيه القافية »[2].

و تبعا لذلك جاء أسلوب جبران متميّزا عن غيره ممّا وضعه موضعا مرموقا من روّاد الأدب الحديث فهو القائل " لكم لغتكم ولي لغتي " فقد تمرّد على اللّغة أو على الشّكل كما تمرّد على المضمون، فجبران اعتمد أسلوب« المناجاة و الرّمز و البلاغة و التّجريد بما فيه من سحر و غموض مقصود باعث للنّشوة خلق مقاييس جديدة في النّثر العربي الحديث »[3].

و قد لعبت الرّابطة القلميّة دورا فعّالا في انتشال الأدب العربي من قيد الخمول و الرّكود و «بواسطتها دخل الشّعر العربي نوع جديد من الشّعور و من صدق الرّؤيا و دخلت أيضا موافق جديدة نحو الحياة والإنسان »[4].

وكثيرا ما انتقد أسلوب الرّابطة القلميّة و اتّجاهها التّجديدي فكتب جبران أبيات يردّ فيها على هؤلاء فيقول:

---

1) **إبراهيم خليل:"مدخل لدراسة الشّعر العربي الحديث"، دار الميسرة، عمّان، الأردن ط1 1424هـ-2003م، ص 123.**

2) هدى رجب :فاعليّة شعر الرّفض و التّمرّد ، ص 56.

3) اسطفان قيلد : جبران خليل جبران مختارات و دراسات ص "ط".

4) **سامر فاضل عبد الكاظم الأسدي : مفاهيم حداثة الشّعر العربي ، في القرن 20 ، دار الرّضوان ،مؤسّسة دار صادق الثّقافيّـــــة ،الطّبعة 1 ، 1433هـ/2012م ، ص 86.**

جاورتم الأمس و ملنا إلى يوم موشّى صبحه بالخفاء

ورمتم الذّكرى و أطيافها و نحن نسعى خلف طيف الرّجاء

و جبتم الأرض و أطرافها و نحن نطوي بالفضاء الفضاء [1]

فجبران يرى أنّه لا مستقبل للغة العربيّة إذا لم تتحرّر من القوالب القديمة ومن عبوديّة العبارات الأدبيّة السّطحيّة و إذا لم تتوصّل إلى إقامة حوار جدّي مع الغرب ولم تتمثّل تأثير الحضارة الأوروبيّة من دون أن تخضع لها «إنّ روح الغرب صديق و عدوّ لنا»[2] ، فالشّعر في منظوره هو ما لا يمكن للغة الكلام العاديّة أن تقوله ، و هو ما يعبّر عنه جبران في العبارة التّالية :« في أعماق نفسي أغنية لا ترتقي الألفاظ ثوبا ، أغنية تقطن حبّة قلبي ، فلا تريد أن تسيل مع الحبر على الورق فلغة الكلام العاديّة لا يمكن أن تصلح للتّعبير عمّا يحسّه الشّاعر و يراه لذلك لابدّ لكلّ شاعر أن يخلق لغته الخاصّة به ، و هو ما أدركه جبران حين قال :"ففي العربيّة خلقت لغة جديدة داخل لغة قديمة ، كانت قد وصلت حدّا بالغا من الكمال ، لم أبتدع مفردات جديدة بالطّبع بل تعابير جديدة و استعمالات جديدة لعناصر اللّغة »[3].

بدأ جبران بالتّمرّد على جميع الأوضاع المحيطة به أوّلا و التقاليد البالية التّي قيّدت حرّيته و انتهت بنبذه لكلّ ما هو قديم و بال ، نبذ الأغراض التّي درج عليها الشّعراء الاتّباعيّون منذ "امرئ القيس" من مدح و رثاء و فخر وهجاء و نسيب و أعلن أنّ الشّعر يجب أن يكون معبّرا عمّا في النّفس وما يصدر عنها من أحاسيس و انفعالات فيقول :« ليكن لكم من قصائدكم الخصوصيّة مانع اقتفاء أثر المتقدّمين فخير لكم و للّغة العربيّة أن تبنوا كوخا حقيرا من ذواتكم الوضيعة من أن

1) ينظر جبران خليل جبران:"البدائع و الطّرائف"قصيدة يا من يعادينا ، ص143.

2) اسكندر نجّار : جبران خليل جبران ، ص134.

3) نزار هنيدي : جبران خليل جبران المجموعة الكاملة للمؤلفات المعربة، ص 18.

تقيموا صرحا شاهقا من ذواتكم المقتبسة»[1].

ثمّ يهاجم موضوعات الشّعر التّقليدي أو شعر المناسبات قائلا: « ليكن لكم من عزّة نفوسكم زاجرا عن نظم قصائد المديح و الرّثاء و التّهنئة، فخير لكم و للّغة العربيّة أن تموتوا مهملين من أن تحرقوا قلوبكم بخورا أمام الأنصاب و الأصنام»[2]. فجبران يؤكّد على أنّ « التّمسّك بالقديم و تقليده سبب جمود و تخلّف »[3] و هو يؤكّد في عهده الجديد على أنّ التّغيير قائم لا محالة و التّجديد آت دون شكّ« إنّ أبناء الأمس يمشون في جنازة العهد الذّي أوجدهم و أوجدوه »[4].

«و يزيد من تأثير الأسلوب الجبراني تلك الموسيقى التّي تطالعنا من جرس الألفاظ الموحية بالمعنى الذّي يريده ، فالألفاظ القويّة الموحية بالعنف تقابلها ألفاظ رقيقة عذبة »[5] مثل قوله مثلا : «لكم لبنانكم بكلّ ما فيه من الأغراض و المنازع و لي لبناني بما فيه من الأحلام و الأماني »[6].

لقد حرّر جبران الشّعر من القيود و الأصفاد البالية و بعث فيه روحا جديدة تواكب روح العصر و متطلّعاته و احتياجاته فموسيقى الرّوح عنده هي قبل موسيقى الأذن فينشد في اللّيل فيقول:

يا ليل الأشباح و الأرواح و الأخيـــــــلة

يا ليل العشّاق و الشّـــــــعراء و المنشدين

يا ليل الشّوق و الصّبابـــــــــــة و التّذكار

1) ينظر جبران خليل جبران :البدائع و الطّرائف ، مقالة اللّغة العربيّة ،ص 94.

2) نادرة سراج جميل :المرجع السّابق ، ص 114.

3) نازك سابا يارد : البدائع و الطّرائف ، ص 10.

4) ينظر جبران خليل جبران : البدائع و الطّرائف ، ص 150.

5) نازك سابا يارد : المرجع السّابق ، ص 26.

6) جبران خليل جبران : البدائع و الطّرائف ، مقالة "لكم لبنانكم و لي لبناني " ،ص 40.

وقد أعطى للّيل عدّة دلالات ممّا زاده جمالا واتّساعا وروعته امتدادا « فاللّيل شعر مبعثر القوافي على أنّه إغراء مجنّح الأوزان على أنّه عصيان ، شارد الألحان على أنّه موسيقى الدّهور»[1].كما أنّه كثيرا ما استعمل اللّيل و رموزه في كتاباته « فاللّيل و ما في ظلامه من الوحشة وما في أشباحه من الرّهبة وما في سكينته من الأسرار هو أحبّ الرّموز إلى جبران ففي اللّيل صادف حفّار القبور وفي ظلام اللّيل قد وقف يندب حظّ أهله وعندما جنّ اللّيل سار نحو البحر حيث لاقى الأشباح الثّلاثة التّي كشفت له أقانيم الحياة الثّلاثة : الحبّ ، التّمرّد ،الحرّية »[2].

جبران مأخوذ بهاجس التّجديد والتّفرّد و بذلك أبى اللّجوء إلى قواعد اللّغة و إلى الأساليب العربيّة فجاء بالبديل في قوله :« لكم منها القواميس و المعجمات و المطوّلات ، و لي منها ما غربلته الأذن و حفظته الذّاكرة من كلام مألوف مأنوس تتداوله ألسنة النّاس في أفراحهم و أحزانهم »[3]و لم يمانع من استخدام عدد من التّعابير العاديّة إذ وجدها ملائمة للغرض و غير قبيحة[4].

و مثلما ثار على اللغة ثار على الوزن و القافيّة و الضّرورات الشّعريّة و كلّ ما جاء من الخليل و عروضه فخاطب المحافظين قائلا :لكم منها العروض و التّفاعيل و القوافي ،و ما يحشر فيها من جائز و غير جائز ، و لي منها جدول يتسارع مترنّما نحو الشّاطئ فل يدري ما إذا كان الوزن في الصّخور التّي تقف في سبيله أم القافيّة في أوراق الخريف التّي تسير معه ، فالجدول المتسارع المترنّم هو موسيقى النّفس التّي يرغب فيها جبران ثمّ يقول :"لو تخيّل الخليل أنّ الأوزان التّي نظم عقودها و أحكم أوصالها ستصير مقياسا لفضلات القرائح و خيوطا تعلّق عليها أصداف الأفكار ، لنثر تلك العقود و فصم عرى تلك الأوصال" فالشّعر عنده لا يتقيّد بوزن و لا بقافيّة ، و هو إيقاع يتناسب

1) ريموند قبعين : النّزعة الرّوحيّة في أدب جبران و نعيمة ، ص 94.

2) نادرة سراج جميل : شعراء الرّابطة القلميّة، ص 167.

3) جبران خليل جبران:البدائع و الطّرائف مقالة لكم لبنانكم ولي لبناني ، ص 42.

4) ينظر سامر فاضل عبد الكاظم الأسدي :المرجع السّابق ، ص 113-115.

مع إيقاع الحياة الذّي يتغيّر تبعا لتغيّر الحياة و تطوّرها[1].

لم يكن جبران مجرّد مصلح اجتماعي ، بل كان ثوريّا حقيقيّا و متمرّدا أصيلا لذلك امتدّت ثورته لتشمل كلّ ما من شأنه الحدّ من حرّية الإنسان مهما بلغ من قدسيّة فوجد أنّ أسس الظّلم الاجتماعي تكمن في استغلال الشّريعة و الدّين «انّه يهدم الأخلاق التّي تضعف الإنسان و تستبدّه ،ويبشّر بالأخلاق الايجابيّة الفعّالة التّي تخلق هي نفسها القيم ، انّه يريد بالتّالي أن يحلّ محلّ الفكر المأخوذ بأخلاق المستقبل محلّ الفكر المأخوذ بأخلاق الماضي»[2].

و ابتكر أسلوبا جديدا في النّثر واستطاع أن يحرّر نفسه من قيود الموسيقى الموروثة ، وامتاز بموسيقى الانسياب المتماوج و الانبساط في الإيقاع لكنّه رغم هذا لم يخرج من دائرة الشّعر القديم فنظم على طريقة الموشّحات عدّة قصائد منها : "يا من يعادينا" ، "يا نفس" و "البلاد المحجوبة".أمّا في الشعر فإنّنا نلاحظ تحرّره من قيود اللغة والانطلاق من نير القافيّة المتوارثة، و البساطة في اللّفظ، والإغراق في الخيال لدرجة نلمس فيه النّزوع إلى ما وراء الطّبيعة.

و من ذلك نكتشف أنّه كانت له نظريّته جديدة على صعيد الممارسة الكتابيّة و على صعيد النّظريّة الإبداعيّة ، كما زاد من حداثتها و جدّتها ابتكاره الخاصّ في الأسلوب ، كما أطلقت آراءه الجديدة التّيّار الرومانسي بشكل واسع في الأدب.

---

1) سامر فاضل عبد الكاظم الأسدي : المرجع السّابق ، ص 127.

2) أدونيس : الثّابت و المتحوّل ، ص 161.

الفصل الثّالث

تجلّيات التّمرّد في أدب جبران

I. المبحث الأوّل: في الشّعـــــــــــر:

تحليل قصيدة المواكـــــــــــب: المواكب هي عبارة عن قصيدة شعريّة طويلة أصدرها بحلّة أنيقة في مجلّة الفنون سنة 1918-1919م،و قدّم لها نسيب عريضة فقال :« أنها تمثّل نواحي الحياة كما يراها الإنسان في ذات مزدوجة ذات التّمدّن و ذات الفطرة »[1]،جمع فيها أفكار فلسفيّة و آراء اجتماعيّة، تعتمد على طريقة الحوار لعرض الأفكار.

وهي مطوّلة جبران الوحيدة وهي تقع في ثلاثة و مائتي بيت من الشّعر (203)« و هي تتكوّن من ستّة مقاطع في مختلف مجالات الحياة»[2]،أمّا عن أصل تّسمية المواكب بهذا الاسم «فهو نسبة إلى الجموع البشريّة التّي ظلّت اختيار الطّريق الصّحيح الذّي يسعدهم ، و ظنّوا أنّ مصدر سعادتهم و حرّيتهم في عالم المادّيات المزيّف ، و المدينة المتصنّعة و خضعوا لعادات و تقاليد زائفة»[3].

أمّا موضوعها فقد تناول فيه المؤلّف التّمرّد على قوانين المدنيّة منتصرا لقانون الغاب وسمة التمرّد طبعت إنتاجاته في تلك الفترة ، و من مظاهر التّمرّد في القصيدة «رفضه للحياة بقوانينها الصّارمة و تقاليدها العتيقة و شرائعها التّي لا ترتاح إليها نفسه....كما أنّ غرضه الأساسي من هذه المجموعة هو التّمرّد و الثّورة على الحياة المعقّدة المشوّشة، و الدّعوة الحارّة للرّجوع إلى الطّبيعة السّاذجة البسيطة»[4].ويأتينا جبران بالمواكب في ذات مزدوجة ذات التّمدن و يسمّيه الإنسان المتمدّن ، و ذات الفطرة و السّذاجة الخاصّة بالرّعاة (الفتيان مت الشّرق) أي الإنسان الذّي يغنّي للحياة منسجما معها من غير تحليل أو شكّ أو نقاش [5].

---

1) **بيدي عثمان : "جبران خليل جبران الأرواح المتمرّدة متبوع بأعمال أخرى "** موفم للنّشر ،1993 ،ص .XVII.

2) ينظر تحليل قصيدة المواكب/موضوع، 1 أغسطس 2012.

3) نفس المرجع.

4) **ميخائيل نعيمة : "جبران خليل جبران" نوفل ، بيروت –لبنان ، ط13 ، 2009،ص 24.**

5) جميل جبر : "جبران سيرته و أدبه" ، مرجع سابق ، ص 25.

قصيدة المواكب قصيدة رومانسيّة طويلة ، تفاعل فيها جبران مع وجدان الطبيعة و تفاصيلها معلّلا ذلك أنّ الطبيعة سبب السّعادة المطلقة و نموذج للعالم المثالي البعيد عن الأشرار و الزّيف، فجبران هنا يقصد بالطّبيعة حياة البساطة و السّهولة و البعد عن الكلفة و عدم التّقييد ، فجبران من الشّعراء الرومانسيين الذّين تغنّوا بالطّبيعة و أبدعوا في وصفها كما سلف الذّكر .أمّا عن بناء القصيدة فهي منظومة في شكل حوار فلسفي بين شخصيّتين أو صوتين إن صحّ القول ،هناك في وسط الغاب يتقابل شيخ قد كلّل الشّيب رأسه و كساه تاجا من الوقار ، مع صبيّ في عنفوان الشّباب خرج يحمل نايه يدعو النّاس على ألحانه إلى ولوج الغاب معه حيث البساطة المجرّدة عن التّعقيد وخرج الشّيخ من المدينة المثقلة بأعباء المدنيّة و هو قد خبر صروفها و جرّب أحوالها ، فاكتسب منها نظرة متشائمة إلى النّاس والحياة فيأخذ في تعداد مساوئ العالم الذي جاء منه و الشّرور التّي جبل عليها أهله ، و يستمرّ في سرد خلاصة تجاربه من هذه الحياة التّي عاشها ، و إذا بالفتى يردّ عليه في لين و رفق محاولا إقناعه بأنّ الغاب ليس فيه كلّ هذا التّعقيد و التّقييد [1]، كلّ ما فيه بساطة و حرّية و سهولة فيقول:

ليس في الغَابَاتِ رَاعٍ لاَ و لاَ فِيهَا القَطِيع
فَالشِّتا يمشِي و لكِنْ لاَ يُجَارِيه الرَّبِيع [2]

فأيّة حياة أجمل و أحبّ إلى النّفس من هذه الحياة التّي لا ينتهي ربيعها ، و لا تعرف خريف الفصول فالحزن لا يقربها والهمّ لا يعرف بابها :

لَيْسَ فِي الغَابَاتِ حُزْنٌ لاَ و لاَ فِيهَا الهُمُومْ
و غُيُومُ النَّفْسِ تَبْدُو مِنْ ثَنَايَا النُّجُومْ [3]

في القصيدة صراع بين حياتين أو بين واقعين أو بين «الواقع و المرتجى واقع المدينة رمز الفساد

1) تحليل قصيدة المواكب: موضوع، 1 أغسطس 2012.

2) **المجموعة الكاملة لمؤلّفات جبران خليل جبران :"المواكب" قدّم لها وأشرف على تنسيقها ميخائيل نعيمة، المجلّد 3 ، دار صادر–بيروت ص 83.**

3) نفس المصدر ، ص 84.

و مرتجى الغاب مرتع الأحلام و نعيم الأرض»[1].

ويظهر في القصيدة تأثّره بالتّيّار الصّوفي الذّي كنّا قد أشرنا إليه في الفصل الأوّل مصطبغا بصبغة التّأمّل و الفلسفة الرّوحانيّة و يظهر من خلال الصّوت الأوّل صوت الشّيخ «فهو يعبّر عن نفوره من العالم ، و يسخر من قيم الحضارة المصطنعة »[2]،أمّا الصّوت الثّاني صوت الفتى فهو«أكثر تفاؤلا ينشد بصفاء السّريرة نشيدا للطّبيعة و لوحدة الوجود مجسّدة "بالنّاي" الأداة المصاحبة لطقوس الصّوفيّة التّي تبوح بأسرار الخالق ، و ترمز إلى النّفس المشتاقة لأن تعود إلى النّبع الإلهي الذّي فصمت منه المواكب »[3] أمّا النّاي فهو«عنوان الخلود و الحياة الشّاملة السّعيدة التّي يرجوها»[4] و جبران يقصد بالطّبيعة الحياة الشّاملة بما فيها الإنسان و الهواء و الماء و الأرض و السّماء ....لا الطّبيعة بمفهومها الضّعيف أمّا النّاي فهو لا يقصد تلك الآلة التّي يعرف عليها الرّعاة إنّما هو«رمز الرّوح الشّاملة حيث تلتقي فيه كلّ الأرواح فتؤلّف لحنا واحدا [5] فالصّوتين أو الشّخصيتين المتنازعتين في القصيدة ليست في الحقيقة إلاّ صوت نفس جبران الدّاخلي المتصارعة فيما بينها «ما بين إيمانه بفطرة الإنسان الإلهيّة و بين ما كان يبصره في حياة النّاس من بشاعة ووجع و تشويش»[6].و التّيّاران يبدوان كما لو كانا حوارا بين شخصيّتين و لكنّهما ليسا كذلك، بل جلّ ما في الأمر أنّ الأوّل يمثّل الحياة بظاهرتها القبيح و باطنها الجميل و الثّاني يمثّل وحدة روحيّة لا باطن لها و لا ظاهر ، الأوّل يتبرّم بما في الحياة البشريّة من رياء و ضعف و ذلّ قلق و نضال دائم بين الخير و الشّرّ ، و الثّاني يمجّد الحياة في الغاب حياة الفطرة و السّليقة ، حيث لا خير و لا شر بل استسلام كامل إلى المشيئة العاقلة المدبّرة التّي تتسامى فوق الشّرّ و الخير [6].

1) جميل جبر:" المجموعة الكاملة لمؤلّفات جبران العربيّة" مرجع سابق ، ص 43.
2) اسكندر نجّار : جبران خليل جبران" مرجع سابق ، ص 125.
3) نفس المرجع و الصّفحة.
4) ريموند قبعين :"النّزعة الرّحيّة في أدب جبران و نعيمة" ، ص 41.
5) ينظر ميخائيل نعيمة : "جبران خليل جبران"، مرجع سابق ، ص 224.
6) ينظر ميخائيل نعيمة :"المجموعة الكاملة لمؤلّفات جبران العربيّة" ص 15.

وقد تأثّر جبران تأثّرا واضحا "بفردريك نيتشه"كما أوضحنا سابقا فظهر الصّراع في هذه القصيدة «بين فتى الغاب الرّومانسي و الحقد النّيتشوي في الشّيخ ، وإذا بالمتصارعين جبران نفسه، جبران نيتشه يعبّر عمّا ترى عينه من ألم و قبح و تشويش و قلق و شرّ، فتبرّم بمفاهيم العدل ، و الدّين ، و العلم، و الحرّية، والحبّ ، وما إليها في دنيا البشر، و جبران الرّومانسي فتى الغاب الذّي يستوحي خياله و يصدر عن علم الهدوء ممجّدا الطّبيعة»[2]،جبران انجرف بتيّار نيتشه و ما برحت معتقداته السّابقة تشدّه إلى الوراء «فكانت المواكب نتيجة لتلك الحالة القلقة التّي أحسّها جبران ما بين قوّتين تتجاذبانه ، قوّة الإيمان بحكمة الحياة و عدلها و جمالها في كلّ ما تأتيه و قوّة النّقمة التّي أثارها فيه نيتشه من جديد على ضعف النّاس و خنوعهم و تواكلهم و كلّ ما في حياتهم الباطنيّة و الخارجيّة من قذارة و بشاعة»[3]،كما أنّ بعض النّقّاد يرون أنّه قد تأثّر«بالشّاعر الإنجليزي "بليك" في أناشيد البراءة والخبرة»[4].

أمّا فيما يخصّ بحر القصيدة فهي قائمة على بحرين مختلفين هما مجزوء الرّمل و البسيط و هما من بحور الشّعر العربي التّقليدي و قد قسمهما على الصّوتين فالشّيخ المجرّب الحكيم الذّي يمثّل الحكمة النّاضجة المستمدّة من تجربة السّنين و الحياة و قد اتّخذ البحر "البسيط" نغما له ، أمّا صوت الشّاب الذّي يرمز إلى الطّبيعة بعفويّتها فقد اتّخذ مجزوء الرّمل نغما له[5] و القصيدة حظيت بقراءات متعدّدة كباقي النّصوص الأدبيّة «فالشّاعر نسيب عريضة يعتبر المقاطع المكتوبة على وزن البسيط صوت شيخ حكيم ، بينما مقاطع مجزوء الرّمل صوت شاب حالم ، و ما القصيدة سوى حوار بينهما»[6].

---

1) ميخائيل نعيمة : :"المجموعة الكاملة لمؤلّفات جبران العربيّة" ، ص 14.

2) جميل جبر : جبران سيرته و أدبه ، ص 205.

3) ميخائيل نعيمة :جبران خليل جبران ، ص 25.

4) بيدي عثمان : جبران خليل جبران الأرواح المتمرّدة متبوع بأعمال أخرى، ص XVII.

5) ينظر منتديات ستار تايمز :أصداء دراسات أدبيّة نقديّة ج1(مواكب جبران نصّ و تحليل)

6) **نزار بريك هنيدي : "جبران خليل جبران المواكب" مؤسّسة رسلان علاء الدّين ، سورية،ط2002،1،ص32.**

أمّا الهيكل العام للقصيدة فهي تتكوّن من ثمانية عشرة مقطعا أو نشيدا تستند إلى ثلاثة أركان تجريديّة:

الصّوت الأوّل: سواءا أكان شيخا حكيما مجرّبا يمثّل جانبا من صدى النّزاع الدّاخلي في ذات الشّاعر.

الصّوت الثّاني: يمثّل الطّبيعة على لسان فتى الغاب الهائم بها بوعيه و بلا وعيه.

الصّوت الثّالث: القرار أو النّداء الذّي يعتمد النّاي و الغناء و أنين النّاي رمزا لخلود الإنسان[1].

لقد حدّد الصّوت الأوّل بأربعة أبيات و الصّوت الثّاني بأربعة أبيات أيضا و خصّ القرار –النّداء ببيتين فقط– و يظهر هذا الإلتزام واضحا في إحد عشرة مقطعا منها في حين نراه يتحرّك بحرّية عدديّة إذ يخصّص للصّوت الأوّل خمسة أبيات مرّة و ستّة أبيات مرّة ثانية و سبعة أبيات مرّة ثالثة ، كما يظهر ذلك بوضوح في النّشيد الثّالث و السّادس والسّابع و التّاسع و الخامس عشر و السّادس عشر مع احتفاظ الصّوت الثّاني القرار بخصوصيّتهما العدديّة الأولى ،وهي أربعة أبيات للصّوت الثّاني و بيتان للقرار ،لكنّه يخرق هذه القاعدة في المقطع أو النّشيد الأخير من القصيدة حيث يمتزج الصّوتان (الأوّل و الثّاني) في حوار مؤلّف من عشرين بيتا بقواف متعدّدة لينتهي هذا الحوار بثلاثة أبيات هي خلاصة رحلة الشّاعر الفكريّة من خلال حواره الطّويل المتعدّد الأصوات[2].

I. يفتتح جبران قصيدته بالحديث عن **الخير والشرّ** فيقول :

الخَيرُ في النَّـــــاسِ مَصنُـــوعٌ إذَا جُبِرُوا و الشَّـــــرُّ في النَّـــاس لا يفْنَـى و إن قُبِـــرُوا[3].

يرى جبران في هذا البيت أنّ النّاس مجبولون على الشّرّ و هم لا يفعلون الخير إلاّ إذا كانوا مكرهين عليه ، فالخير ليس من جبلتهم كما أشار في هذه المقطوعة إلى «أنّ الزّمن يغيّر نفوس النّاس الضّعفاء ويتحكّم و يعبث بهم كآلات ، وأكّد أنّه لا بدّ من مجيء يوم يتحرّر فيه النّاس

1) منتديات ستار تايمز :أصداء دراسات أدبيّة نقديّة ج1(مواكب جبران نص و تحليل) .

2) أنظر نفس المرجع.

3) جبران خليل جبران : المواكب ، م3، ص 83.

من تحكّم هذا الزّمن العابث،ودعا جبران إلى التّواضع و عدم المباهاة بالجاه و المجد و العلم ووصف النّاس بالقطيع إلى يمشي خلف راعيه دون تفكّر أو تبصّر في السّبيل و هذا هو سبب هلاكهم و ضياعهم ، كما دعا أيضا إلى العودة إلى عالم الغاب ، حيث الحرّية المطلقة و الطّبيعة الملهمة دون وجود عوائق و تيّارات تؤثّر على البشر» [1].

II. ***مقطوعة الدّين*** : فيقول:

و الدِّين في النَّـــــاسِ حقلٌ ليسَ يزرعــــه غَيــــرُ الأُلى لهـــــــــمْ في زرعه وَطَـــــــرُ

فالقَـــــومُ لَولا عِقَـــابُ البَعْثِ ما عَبَدُوا رَبًّا ولولا الثَّـــــوابُ المرتجـــــى كفَـــرُوا

كَأنَّما الدّيـــــنُ ضَربٌ من مَتَـــاجِرِهِم إن واظبـــوا رَبِحوا أو أهملـــوا خَسِـــــرُوا [2].

رأى جبران أنّ البشر لا يتمسّكون بالدّين إلاّ لتحقيق رغبات شخصيّة كالظّهور بلباس التّقوى أو الطّمع في الجنّة أو الخوف من النّار أو لأسباب أخرى غير واضحة ، ووضّح أنّه لولا وجود الثّواب و العقاب لما عبدوا الله ،وصف جبران الدّين بالتّجارة ،أي إذا إلتزم البشر بالعبادات ربحوا الجنّة ، و إذا تركوها خسروا و دخلوا النّار [3]، أمّا هؤلاء الذّين «يتظاهرون بالصّلاة و يرتدون رداء الدّين ليس فيهم من الإيمان شيء غير طمعهم بالثّواب و خوفهم من العقاب فالدّين بالنّسبة لهم سوى تجارة يبتغون منها الرّبح و يتّقون بها الخسارة» [4]، بينما في الغاب تختفي كلّيا هذه القوانين و الأشياء فدين الغاب مختلف تماما عن دين المدينة«الغاب لا تعرف الكفر و لذا فدينها البساطة و كتابها النّاي و أنغامه العذبة فإنّها خير الصّلاة » [5]،فجعل من الغاب المكان المثالي للعيش أو المدينة الفاضلة كما يقول أفلاطون حيث تُقبل جميع الكائنات على اختلاف أشكالها و ألوانها و أصواتها و صفاتها،و كلّ ذلك من أجل هدف واحد هو التّأليف بين الأديان التّي لا تقبل بعضها البعض ، كما اعتبر أنّ « صوت النّاي الذّي يصدح بالغابة هو صوت الدّين الحقيقي و الصّلاة

1) أنظر جبران خليل جبران المواكب ،م 3، ص 85.

2) أنظر ستار تايمز مرجع سابق.

3) نزار هنيدي : جبران خليل جبران المواكب ،ص 36.

4) ميخائيل نعيمة : جبران خليل جبران ، ص 25.

و الخلود» [1].و من هنا نلاحظ أنّ كتابات جبران لا تخلوا من الحديث عن الدّين في كثير من مؤلّفاته سواءا إن كانت شعرا أو نثرا .

III. مقطوعة العدل :

خصّص جبران في مواكبه مقطوعة خاصّة للعدل ليبدي وجهة نظره إلى هذا الموضوع الذّي أصبح في واقعه وواقعنا مجرّدة كلمة مات معناها مع مرور الزّمن فيقول :

و العَـــدلُ في الأَرضِ يُبكِي الجِنَّ لو سَمِعوا بِه و يستضْحِكُ الأَمواتَ لو نظَـــرُوا

فالسِّجْنُ و المِـــوتُ للجانِينَ إن صَغِـــروا و المجد و الفَخْرُ و الإثـــراءُ إن كَبَـروا[2]

فيعتبر أنّ العدل يدعو للسّخريّة و الضّحك وفي قوله يبكي الجنّ كناية عن غياب العدل عند بني البشر و استعارة في قوله يستضحك الأموات لأنّ الأموات لا يضحكون إنّما هو يريد أن يصف شدّة بؤس الأحياء و إخفاقهم في تحقيق العدالة كما أشار إلى أنّ العدل تتحكّم فيه قوّة البشر و مناصبهم، فأشار «إلى أنّ العدل الذّي يقيمه الإنسان من وجهة نظره هو عدل ظالم ، فالضّعيف بين قومه إذا ارتكب خطأ صغير يعاقب و يعتبر مجرما ، بينما القويّ عندما يرتكب خطأ كبيرا يصفّق له و يعتبرونه بطلا»[3].

فَسَـارِقُ الزَّهرِ مذْمُـــومٌ و مُحْتَقَرُ و ســـــارقُ الحقلِ يُدعى البـــاسِلُ الخَطِرُ

وَقـــاتِلُ الجِسْمِ مَقتـــولٌ بِفعلتِـهِ و قاتِـــــلُ الرّوحِ لا تدري بِهِ البَشَـــرُ[4].

وانطلاقا من هذه الأبيات ففي نظره«لقد غاب العدل عن الأرض ، و ساد منطق القوّة ، و بات صاحب العلم و الحكمة منبوذا من أهله و غريبا عن وطنه »[5].

---

1) أنظر ستار تايمز مرجع سابق.

2) أنظر جبران خليل جبران المواكب م3 ، ص 85.

3) تحليل قصيدة المواكب، انترنت.

4) أنظر جبران خليل جبران نفس المرجع و الصّفحة.

5) نزار هنيدي بريك : جبران خليل جبران "المواكب"، ص 36.

إذن فما هو العدل؟و أين إيجاده ؟ إن كان هذا هو شأنه و أين الحقّ الذّي يبحث عنه؟

سيجده بدون شك في الغاب «في الغاب ليس هناك نصر لقويّ ولا هزيمة لضعيف الكلّ فيه سواء ولا عزم ولا قوّة إلاّ في النّفوس »[1].

ليـــــس في الغَاباتِ عـــــزمٌ لا و لاَ فيـــــهَا الضَّعيـــــف [2]

وهو يشير إلا أنّه لا يوجد عقاب و ثواب في الغابة ولا تدخّل في شؤون الآخرين ، أو اعتراض على أفعالهم ، ثمّ عاد و كرّر صوت النّاي و ترانيمه فهو صوت الخلود الحقيقي«ففي عالم الغاب وجود لمفهوم العدل فالحاجة إلى العدل تظهر حين يستولي أحد على حقّ من حقوق الآخر فيقوم العدل على إعطاء كلّ ذي حق حقّه و لكن في هذا العالم المثالي لا يوجد من يعتدي على غيره،ولا توجد أيّة خلافات أو صراعات بين أفراده ، و لذلك فهم لا يعرفون معنى لمصطلح العدل كما لا يعرفون معنى الثواب أو العقاب لأنّه لا يوجد بينهم من يتفوّق على غيره »[3]، و في ذلك يقول جبران:

ليـــس في الغابات عـــدل لا ولا فيـــها العقـــــاب

إنّ عدل النّـــــــاس ثلـــج إن رأته الشّمـــــــــس ذاب[4]

وبطبيعة الحال لن يكون في الغاب قويّ و ضعيف لأنّ هاتين الصّفتين هما من صفات أهل المدينة الذّين يعيشون الواقع وليس عالم المثل.

---

1) ميخائيل نعيمة : جبران خليل جبران ، ص25.

2) جبران خليل جبران : المواكب ، ص 86.

3) نزار هنيدي : جبران المواكب ، ص 42-43.

4) جبران خليل جبران : مصدر سابق ، ص 85.

IV. مقطوعة العلـــــــم :

كذلك من بين المواضيع التّي تناولها ضمن قصيدته موضوع العلم فيقول فيه:

و العِلـــمُ في النَّاسِ سُبُلٌ بـــــانَ أوَّلُها أمّا أَواخِـــرها فالدَّهـــــرُ و القَـــــدرُ[1]

وأشار إلى فضل العلم في هذه المقطوعة ، ووضّح أنّ بداية العلم معرفة و نهايته تكون بنهاية الإنسان و عمره ، ثمّ دعا الإنسان إلى العيش بطموح و ضرورة التّعلّم[2]، كما ساوى بين الإنسان المنفرد بعلمه بمنزلة النّبيّ في قوله :

فإن رأيـــت أخا الأحلام منفـــــردا عن قومه و هو منبـــــوذ و محتقـــــر

فهو النّبيّ وبُردُ الغـــــد يحجبُـــــه عن أمّة برِداءِ الأمـــــــسِ تـــــــأتزِر[3]

والإنسان المتعلّم عمله يفصله عن النّاس الّذين يعتبرونه غريبا بينهم،لأنّهم لا يزالون يعيشون في الماضي:

وهو الغريب عن الدّنيـــــا و ساكنـــها وهو المـــــهاجر لامَ النّاس أو عـــــذَروا[4]

ووصف الإنسان المتعلّم بالشّدّة و القوّة بالرّغم ممّا يظهره من لطف و لين في التّعامل ، ثمّ يعود ليقارن ذلك مع قانون الغاب الذّي تختفي فيه هذه الثّنائيّة بطبيعة الحال ثنائيّة العلم و الجهل «فالنّاس جميعهم يتساوون في امتلاك أسمى المعارف و أعلى العلوم»[5]،كما يشبّه علوم الإنسان بالضباب الذي يزول بسطوع شمس الحقيقة ، و عاد يكرّر أنّ صوت النّاي و الغناء هو أفضل العلوم الخالدة[6]

ليـــــس في الغابات علـــــم لا ولا فيـــــها الجهـــــول

إنّ علـــــم النّاس طـــــــرا كضبـــــاب في الحقـــول

---

1) جبران خليل جبران : المواكب، ص 86.

2) http://mawdoo3.com تحليل قصيدة المواكب.ذ

3) جبران خليل جبران : نفس المرجع و الصّفحة.

4) نفس المصدر ،ص 87.

5) نزار هنيدي :جبران المواكب ، ص 43.

6) http//mawdoo3.com ينظر تحليل قصيدة المواكب

أعطني النّـــــاي و غـــــنّ فالغنـــــــا خير العلـوم [1]

أمّا الحرّ فقد سجن نفسه بين نوازعه و أفكاره ، و أصبح عبدا لشريعته و تعصّبه يقول جبران :

والحرُّ في الأرض يبـــــني من منـــــازعه سجنـــــا و هو لا يدري فيـــــؤتسر [2]

كذلك اللّطف هو قناع النّذل يختفي وراءه في أوقات الخوف و الخطر

واللّطـــــف للنّذل درع يستـــــجير به إن راعه وجـــــــل أو هاله الخطـــــر [3]

والطّرافة عند بعض النّاس مصطنعة من أجل تحقيق أغراضهم وأهدافهم

والظـــــرف في النّاس تمويه و أبغضـــــه ظرف الألى في فنـــــون الإقتدا مهروا [4]

لكن في قانون الغاب المثالي فالنّاس كلّهم يتساوون «في الظرف و الملاحة و الذّكاء ، لذلك لن يكون بينهم من يركض وراء الأمجاد الزّائفة» [5]

ليـــــس في الغابات حـــــرّ لا ولا العبـــــد الذّميـــــم

ليـــــس في الغاب لطيـــــف ليـــــنه لـــــين الجبـــــان

ليـــــس في الغاب ظريـــــف ظرفـــــه ضعف الضّئيـــــل [6]

V. مقطوعة الحبّ :

الحبّ إذا كان حبّا جسديّا كان مصيره إشباع الرّغبة و فقط ثمّ يضمحلّ ويزول مع مرور الزّمن«فإنّه لم يعد سوى متعة سريعة مبتذلة تقود الأجساد إلى الفراش بدل أن تقود الأرواح إلى منازل الرّفعة و العلوّ» [7]، أمّا إذا ملك الحبّ قلب صاحبه«و سما به عن الشّؤون الماديّة الرّخيصة، اعتبره النّاس مجنونا و صار عرضة للتّندر و السّخريّة،لأنّ أهل هذا الزّمان يجهلون أنّ المجد الحقيقي هو لأصحاب القلوب المحبّة العاشقة، و ليس لأصحاب القوّة و النّفوذ » [8].

1) ،2) ،3) ،4) جبران خليل جبران : المواكب ،ص 87-88.

5) نزار هنيدي بريك: جبران المواكب ، ص 43.

6) ينظر جبران خليل جبران : مصدر سابق ، ص 88.

7) نزار هنيدي بريك : جبران المواكب ، ص 36.

8) نفس المرجع ، ص 37.

والحبّ في النّـــاسِ أشكال و أكثرها كالعشـــــبِ في الحقلِ لا زهـــر ولا ثمـــر

والحبُّ إن قادت الأجســـام موكبه إلى فـــــراش من الأغـــــراض ينتحـــر

كأنّه ملك في الأســـــر معتـــــقل يأبى الحيـــــاة و أعـــوان له غدروا[1]

لكن الحبّ في المقابل أي في عالمه المثالي هو«حبّ روحي سام نبيل ليس كحبّ أهل المدن المشوب بالمصلحة والغرض....كما أنّ حبّ الغاب لا يعرّض صاحبه للّوم و حقد الحاسدين، و هو بمنجاة عن أعين الرّقباء [2]، فالحبّ هو حبّ روحي خالص يقول:

والحبّ في الـــرّوح لا في الجســـم نعرفه كالخمـــــر للوحي لا للسّكـــــر و الظّفر[3]

VI . مقطوعة السّعادة:

يشبّه جبران السّعادة بالوهم الذّي لا يتحقّق فعندما يحقّق الإنسان هدفه يملّ ثمّ يعيد البحث عن هدف آخر، و شبّه ذلك بالنّهر الجاري نحو السّهل، ما إن يصل النّهر السّهل يصبح النّهر كئيبا بطيئا يبحث عن مجرى آخر.

وما السّعادة في الدّنيا سوى شبح يرجى فإن صار جســما ملّه البشرُ

كالنّهر يركض نحو السّهل مكتدحا حتّى إذا جاءه يبطئ و يعتـــتكر[4]

كما اعتقد أنّ سعادة النّاس الحقيقيّة هي فقط في الطّموح و الأمل في تحقيق الشّيء المرجو ، و لكن بعد الحصول على هذا المراد تزول هذه السّعادة الوهميّة ، ثمّ إنّ الإنسان السعيد هو الذّي ينشغل في تحقيق أهدافه ثمّ عاد إلى قانون الغاب حيث تختفي معادلة الطّلب و الملل لأنّه يعتبر أنّ الغاب لديه كلّ شيء ، و هو الأمل النّهائي أيضا لكلّ شيء و عاد و أكّد أنّ الغناء هو سرّ السّعادة الحقيقيّة الخالدة[5].

1) ينظر جبران خليل جبران : المواكب ، ص 89.

2) ينظر ميخائيل نعيمة : جبران خليل جبران ، ص30.

3) ينظر جبران خليل المصدر السّابق ،ص 90.

4) ينظر جبران خليل نفس المصدر ، ص 90.

5) ينظر تحليل قصيدة المواكب /موضوع.

ويرى أنّ غاية الوجود«هي مضمرة في سرّ الرّوح، و الرّوح باقية لا تتلاشى ولا تموت لأنّها جزء من الرّوح الكلّي الخالد» [1]

وغاية الرّوح طـــيّ الرّوح قد خفيـــــت فلا المظاهـــــر تبديها و لا الصّـــور [2]

وما الجسد بالنّسبة إلى الرّوح إلاّ بمثابة الرّحم بالنّسبة للجنين، واليوم الذّي تفارق الرّوح فيه الجسد، هو يوم الولادة الحقيقيّة لها، فالموت للإنسان الحقيقي الذّي يحافظ على جوهر الألوهيّة الكامنة فيه، هو بداية الحياة الخالدة:

والجســـم للرّوح رحم تستـــكن به حتّى البـــلوغ فتستعلي و ينغـــــمر

أمّا الذين تنكّروا لجوهر ألوهيتهم وانغمسوا في متاهات الواقع الماديّة، فهؤلاء قد اختاروا نهايتهم في هذه الأرض، ولذلك ليس لهم أن يحلّقوا في فضاء الرّوح و ليس لهم أن يبلغوا عالم الخلود[3]

و الموت في الأرض لابـــــن الأرض خاتمة و للأثيري فهو البدء و الظّفـــــر

فالموت كالبحـــــر من خفّت عناصـــره يجتازه و أخـــو الأثقال ينحدر [4]

كما أنّ موت الغاب اكتسب صيغة البعث و الولادة فالغاب لا يعرف الموت ولا يعرف القبور في قوله:

ليـــــس في الغابات مـــوت لا و لا فيـــها القبـــور

إنّ هول المـــوت وهـــــم ينثَـــنِي طيَّ الصّـــدور

أعطـــــني النّاي و غـــنّ فالغنـــــا سرّ الخلـــود

وأنين النّـــــاي يبـــــقى بعد أن يفـــنى الوجـود[5]

1) ينظر جبران خليل المواكب، ص91.

2) نفس المرجع و الصّفحة

3) نزار هنيدي بريك:"جبران المواكب" ،ص 37.

4) جبران خليل مرجع سابق ، ص92.

5) ينظر نفس المرجع، ص 93.

VII. مقطوعة وصف الغابة و الطّبيعة:

تختلف هذه المقطوعة عن سابقاتها سواءا إن كان من حيث البنية التّركيبيّة اللّفظيّة أو الوزن و القافيّة، يعود جبران بمخيّلته إلى لبنان بطبيعته الآسرة متخيّلا نفسه بين سهولها و جبالها ، و يدعو النّاس إلى حياة الطّبيعة و ترك المدن الزّائفة ،حيث يكمن سرّ الوجود و سرّ الحياة هناك حيث البقاء بين الماء و الصّخور و الأزهار و الشّمس:

هل اتّخـــــذت الغاب مثلي منزلا دون القصـــــور ؟

فتتبّـــــعت السّواقـــــي و تسلّقت الصّخـــور؟

هل تحـــمّمت بعطـــــر و تنشّفـــت بنـــــور؟

و شربـــــت الفجر خمـــرا في كؤوس من أثيـــــر؟[1]

و بعد أن ينهي جولته الأثيريّة تلك يعود لعالم الواقع، عالم الإنسان و يقرّ بعجزه عن القيام بذلك لأنّ الحياة تفرض عليه تعقيدات صارمة بتحقيق مصالحه:

ليت لشعري أيّ نفـــــع في اجتماع و زحـــــام

و جـــــدال و ضجيـــج و احتجاج و خصـــام

كلّها أنفـــــاق خُلـــــد و خيوط العنكـــبوت

فالذي يحيـــــا بعجـــز فهو في بطء يمـــــوت

لكن هو الدّهر في نفسي له أرَب فكلّما رُمت غابا قام يعتذِر

و للتّقادير سبل لا تُغيّرها و النّاس في عجزهم عن قصدهم قصرُوا[2]

1) ينظر جبران خليل جبران : المواكب،ص93.

2) ينظر نفس المرجع ، ص 94.

ويختتم جبران قصيدته بثلاث أبيات ليغلق الدّائرة و يعود إلى عالم الواقع من جديد ، و كانت هذه القصيدة عصارة رحلة أثيريّة في عالم متخيّل ، عالم برزخي عالم الجنّة الموعودة و هو بهذا أقرب إلى الصّوفيّة في رحلاتهم البرزخيّة في عالم الرّوح و تخيّلاتهم للعالم الآخر ، فالجنّة هي وحدها المدينة الفاضلة التّي تحدّث عنها أفلاطون و هي وحدها الغاب أرض المثل العليا التّي جاء بها جبران ، لكنّه في الأخير بعد أن ينتهي من رحلته يعود إلى يعود إلى أرض الواقع مقرّا بعجزه في إيجاد ذلك المكان سوى في مخيّلته.

نقد القصيدة :

تلقّت القصيدة منذ صدورها سنة 1919م إقبالا واسعا من قبل القرّاء و المثقّفين العرب و الأجانب كما تلقّت القصيدة انتقادات خصوصا لأنّ «لا شيء يحبط جبران على كسر القوالب الجامدة سواءا على مستوى الأفكار أو على صعيد الأسلوب ،لذا يطلق العنان لمخيّلته المتحرّرة من كلّ القيود»[1]

أ) من حيث البناء:

يقول الأستاذ "عبّاس محمود العقّاد" في كتاب الفصول منتقدا المواكب:

«أوّل ما نشير إليه أنّ مبنى القصيدة ليس ممّا يوصف بالصّحّة لما فيها من الخطأ اللّغوي و ما يعتريها من ضعف التّركيب ، وغلة العبارة النّثريّة على النّغمة الشّعريّة في أبياتها ، وقد فتحنا الكتاب فوجدنا في أوّل شطر من أوّل بيت خطأ من هذا القبيل في قوله :"الخير في النّاس مصنوع إذا جبروا" يريد "أجبروا" ولم ننته من الصّفحة إلاّ على خطأ ثان في قوله : فأفضل النّاس قطعان يسير بها صوت الرّعاة ، ومن لم يمش "يتدثّر" و الواجب جزم "يندثر" في البيت»[2].

أمّا ميخائيل نعيمة فيرى أنّ جبران قد بذل مجهودا شاقّا في جميع الكلمات و تنظيمها وترويضها «كنت أصغي إلى أبياته فأشعر بالجهد العنيف الذّي بذله في تذليل الكلام

1) اسكندر بجّار :جبران خليل جبران ، ص 125-126.

2) العقّاد عبّاس محمود :"الفصول" مجموعة مقالات أدبيّة و اجتماعيّة و خطرات و شذور ، المواكب . ص 46.

و لأوزان و القوافي للمعاني و أبصر أنّ النّجاح لم يكن نصيبه في كلّ جهوده ، كنت أنظر إلى رسومه فأشعر كأنّها رسمت ذاتها من غير ما جهد أو عناء ، فكأنّ عين جبران الفنّان كانت أطوع لخياله و يده أطوع لعينه من قلم جبران الشّاعر لشعوره»[1].

أمّا رأي أستاذه "**راجي عشقوتي**" في مدرسة الحكمة فلم يكن مختلفا عن سابقيه «فيتساءل متى كبّ جواد شعره ، ثمّ يجيب : حدث ذلك في كتابه المواكب ، وقد أغراه شيطان تقليد العاديّين من شعراء التّراث فسقط»[2]، ثمّ يضيف معلّقا «جبران في قصيدة المواكب كتب الوضوح و السّهولة و المعادلات الشّعريّة الحسابيّة ، تبدأ الفكرة بكذا و تنتهي بكذا ، سالكة الخطّ المستقيم ، تحرمنا من أي سفر روحي و تأمّلي معها»[3].

ب)من حيث المعنـــــــى:

تقول الدّكتورة "**نازك سابا يارد**" أنّ«شاعريّة جبران تجلّت في أجمل حلاها في نثره لا في القصائد القليلة التّي كتبها و أشهرها المواكب فمضمونها فلسفي ، و الغالب عليها هو أسلوب الوعظ المباشر و الإرشاد العقلي الجاف ....طغى فيها عنصر الواقع على عنصر الخيال الشّعري، فقدت القصيدة الكثير من رونق الشّعر»[4].

أمّا "**عبّاس محمود العقّاد**" فيرى أن مقياس المعنى الصّحيح أن يكون موافقا للفطرة الصّحيحة و الطّبيعة الصّادقة ، فجبران كان متمرّدا على الحياة فهذا لا يعني أنّ التّمرّد يكون من أجل بناء شيء أفضل لأنّ تمرّده هنا يجعله يهرب من الواقع و يقدّم البديل الخيالي الذّي هو غير موجود إلاّ في مخيّلته أي في الغاب التّي تصوّرها "جنّة الخلد" فالغاب هي جزء من الطّبيعة و من قال

1) ميخائيل نعيمة :جبران خليل جبران ،ص 226.
2) نزار هنيدي بريك : جبران المواكب ، ص49.
3) ينظر نفس المرجع و الصّفحة.
4) ينظر نفس المرجع و الصّفحة.

بأنّ الطّبيعة تحُلُّ الإنسان من قيوده، فما من عادة متحكّمة في نفوسنا ولا غريزة غالبة أو شهرة متمكّنة إلاّ و في الطّبيعة طرفاها و إليها مرجعها و بالمقابل قد تكون المدنيّة شهواء و لكن ليس معنى ذلك أنّ الحياة الهمجيّة مليحة الوجه حسناء [1].

محاسن القصيدة :

"العقّاد" لا ينكر على المؤلّف مجهوده و إبداعه في القصيدة لكنّه لو نظمها تحت باب الشّعر المنثور لكان ذلك أفسح مجال لآرائه و لأقرب إلى سليقته اللّغويّة من معالجة الشّعر الموزون المقفّى ، كما أنّه لو أقلّ من المعاني الرّمزيّة لكان ذلك أفضل و أبسط ، و فيما ذلك فقد ساق جبران في مواكبه أبياتا من أصدق الشّعر و أحكمه كما في قوله :« و ما السّعادة في الدّنيا سوى شبح يرجى ، و العدل في الأرض يبكي الجنّ لو سمعوا به ، و غيرها من الحكم التّي أوردها جبران في أبياته»[2].

أمّا القصيدة من وجهة نظر **نزار "هنيدي بريك"** فهي ذات أهميّة على عدّة أصعدة :

أ) **الغرض و الموضـــــــوع**: لم يكن من الشّائع أن يخصّص شاعر عربي قصيدة كاملة لموضوع ذي طابع تأمّلي فكري فلسفي لاسيما في أوائل القرن العشرين.

ب) **الرّؤيـــــــــا** :إنّ الرّؤيا التّي تحملها القصيدة بإيجاز شديد هي أنّ الفنّ يمكن أن يكون طريقا للخلاص من بؤس الواقع ، وللتّوجّه نحو العالم الفاضل الذّي لن يكون فاضلا حتّى تزول منه جميع المتناقضات و تتجلّى فيه وحدة الوجود بأبهى صورها، ولا شكّ أنّ هذه الرّؤيا جديدة على الشّعر العربي .

ت) **البناء الفنّي** : بنى جبران قصيدته على التّداخل بين ثلاث حركات لكلّ حركة منها بنيتها المتميّزة من حيث الشّكل و المضمون معا ، واستخدم من أجل ذلك بحرين عروضيين مختلفين كما ميّز بحر الحركة الثّالثة عن الثّانية بتغيير القافيّة ، و لا شكّ أنّ هذا النّظام في بناء

1) ينظر عبّاس محمود العقّاد : الفصول ،ص 46-47-48.

2) ينظر عبّاس محمود العقّاد : نفس المرجع و الصّفحة.

القصيدة جديد و مبتكر في الشّعر العربي.

ث) **الشّذرات الجماليّة التّصويريّة و التّعبيريّة** : إنّ القصيدة لا تخلو من الشّذرات الجماليّة، التّي حلّق فيها جبران في فضاء الإبداع[1] ومن أمثلة ذلك قوله :

فالأرض خمّارة و الدّهر صـــــاحبها وليس يرضى بها غير الألى سكـــــروا [2]

فتشبيه الأرض بالخمّارة التّي يديرها الدّهر ، و النّاس القانعين بها بالسكارى، هو تشبيه لم يسبقه إليه أحد ، و يعبّر بأبلغ ما يكون التّعبير عن رؤيته للدّهر و الأرض و النّاس.

ج) **القراءات المتعدّدة** : إنّ قدرة القصيدة على قبول القراءات المتجدّدة لها حتّى اليوم ، هي وحدها علامة هامّة على مقدار ما تختزن من شعريّة و حيويّة واستجابة للحجات الحسّيّة و الجماليّة و الانفعالية في النّفس البشريّة[3].

---

1) ينظر نزار هنيدي بريك: جبران خليل جبران ، المواكب ،ص 50.

2) ينظر جبران خليل جبران : المواكب ، ص89.

3) ينظر نزار هنيدي : مرجع سابق ، ص 51-53.

المبحث الثّانـــــــــي: تحليل كتاب العواصـــــــــف

نشر الكتاب سنة 1920م و قد كان آخر كتاب لجبران كتب باللّغة العربيّة ، و قد احتوى على مجموعة من المقالات و القصص و الخواطر ، و هذه الأعمال تختلف في طريقة طرحها و موضوعاتها إنّما تتّفق جميعها في ترجمة "العواصف" التّي مرّ بها جبران خلال فترة كتاباته، و تمثّل هده الفترة من حياته الفترة الوسطى بين المرحلة الأولى التّي طبعت بالرومانسية و الهدوء و التّي انتهت برواية "الأجنحة المتكسّرة" و عقبتها فترة قصيرة من التّصوّف و الإستسلام «ما لبث أن أفسدها عليه "نيتشه" بثورته الجامحة الهاصرة ، و قد كان كتاب "هكذا تكلّم زرادشت" في نظر جبران من أعظم ما عرفته كل العصور»[1].و بين فترة الحكمة و صفاء النّفس (النّبيّ) وقد وسمت هذه الفترة كذلك بالثّورة والتّمرّد و النّقمة العارمة على كلّ ما حوله وكما ذكرنا آنفا فقد بلغ في هذه المرحلة أوج تأثّره ب" نيتشه" «فجاء تفكيره مشوّشا ،و كتب في الفلسفة و الأدب و الدّين و المجتمع و افتتح عهده الجديد "بالعواصف" و افتتح العواصف "بحفّار القبور" لذا كان ثورة من ثوراة بركانه و فيه من الدّمار ما لا يقلّ عمّا في "هكذا تكلّم زرادشت" »[2].الذّي أسكره و جعله يرى النّاس كلّهم دونه و لا يهمّه من حوله ،ومن هنا ستكون أقوال زرادشت «معولا للهدم و زاوية للبناء، هدم القديم المسترخي و بناء الجديد و ستمشي ريشته جنبا إلى جنب مع قلمه»[3].

تلك الثّورة التّي قاربت على نهايتها في المواكب تشتعل و تصل ذروتها في العواصف لذا يعدّ أوّل كتاب يعبّر فيه جبران عن حبّه المستجدّ للقوّة« ففي العواصف فصلان مستقلاّن ، أحدهما يدور حول ثورة المؤلّف على المجتمع الشّرقي و اللّبناني خصوصا ، و الآخر حول ثورته على البشريّة»[4].

---

1) ميخائيل نعيمة : المجموعة الكاملة العربيّة ، ص 17.

2) ريموند قبعين : النّزعة الرّوحيّة في أدب جبران ونعيمة ، ص 33.

3) نادرة جميل سراج : شعراء الرّابطة القلميّة ، ص 296-297.

4) بييدي عثمان : "جبران الأرواح المتمرّدة متبوع بأعمال أخرى" ، ص XVIII.

كما يندّد كتاب العواصف بكلّ ما يختزنه من روح التّمرّد بمساوئ الشّرقيين « تشبّثهم بالماضي و تقاليده البالية ،ويدعو إلى تحرير الزّواج كما يرفض أشكال العبوديّة التّي تقيّد البشريّة ، و في غمرة انحيازه إلى صفّ المضطهدين يرفض جبران حال الرّضوخ و الضّعف التّي تكبّلهم و بنفس نيتشوي يدعوهم إلى السّعي وراء القوّة و العظمة ، ومن دون التّخلّي عن إيمانه بالحبّ يرفض أن يغدو الإنسان عبدا له »[1]. ينتقد جبران مجتمعه بلهجة قاسية في عدد من مقالات الكتاب ، مثل **"يا بني أمّي "**، **"أبناء الآلهة و أحفاد القرود"** ، **"نحن و أنتم"** في حين نجد بعض المقالات الذّاتيّة الأقرب إلى النّثريّة من قبيل **"أيّها اللّيل"** ، **"بين ليل و صباح"**.

و يتحدّث جبران عن نفسه واصفا هذه المرحلة من حياته«إنّ الشّاب الذّي كتب "دمعة و ابتسامة" قد مات و دفن في وادي الأحلام فلماذا تريدون نبش قبره؟ افعلوا ما شئتم ولكن لاتنسوا أنّ روح ذلك الشّاب قد تقمّصت في جسد رجل يحبّ العزم و القوّة محبّته للظرف و الجمال، ويميل إلى الهدم ميله إلى البناء فهو صديق النّاس و عدوّهم في وقت واحد»[2]،فجبران الذّي كان يحبّ الجمال و السّكينة أصبح يحبّ العزم و القوّة و يميل إلى الهدم ميله إلى البناء ، أصبح بعد أن عرف "نيتشه" لا يلذّ له إلاّ التهكّم على النّاس و العبث بأوضاعهم و التّشفّي بأوجاعهم و التنكيل بآلهتهم و حفر القبور لهم ، فافتتح عهده الجديد بمقال **"حفّار القبور"**[3].

---

1) اسكندر نجّار : جبران خليل جبران ، ص 135.

2) ميخائيل نعيمة : جبران خليل جبران ، ص 192.

3) ينظر نفس المرجع ، ص 193.

أ) تحليل مقالة "حفّـــــــار القبـــــــور":

من الثّورة على الشّريعة أي السّلطة و رموزها ينتقل جبران إلى الثّورة على الأسباب العميقة التّي تكمن وراءها و تؤدّي إليها و هكذا يعلن الثّورة على الماضي و يفتتح العهد الجديد بالعواصف حيث كتبه في وطأة الأزمة الرّوحيّة التّي اجتاحته بتأثّره بنيتشه و افتتح عواصفه بحفّار القبور الذّي يتلبّس جبران النّيتشوي فنجد في المقالة صوتين : صوت الإله المجنون و صوت جبران الخائف "عبد الله" ، أمّا المجنون فهو عبارة عن شبح جبّار مهيب ذو عينين مشعشعتين ، و يلتقي صدفة مع "عبد الله" في وادي مرصوف بالعظام و الجماجم ، أين يجري حوار بينهما و ينصح الشبح عبد الله «بأن ينصرف عن مهمّة كتابة الشّعر إلى مهمّة حفر القبور فيريح الأحياء من جثث الأموات المكدرسة حول منازلهم و محاكمهم و معابدهم أولئك الذّين خلقوا أمواتا و لم يجدوا من يدفنهم فانطرحوا فوق الثّرى»[1].

ثمّ يعرف الشّبح من محدّثه أنّ اسمه "عبد الله" و أنّه يحبّ اسمه لأنّ والده أعطاه إيّاه و هنا يدعوه للتّحرّر من التّقاليد سواءا كانت هذه التّقاليد عبادات أو عادات فيقول له : «إنّ بليّة الأبناء في هبات الآباء ومن لا يحرم نفسه من عطايا آبائه و أجداده يظلّ عبد الأموات حتّى يصير من الأموات و الميّت هو الذّي لا يرتعش أمام العاصفة ،أمّا الحيّ فيسير معها راكضا و لا يقف إلاّ بوقوفها»[2]، فالعاصفة هنا ترمز إلى التّغيير الدّائم من أجل التّحرّر الكامل[3].

ثمّ يعرف الشّبح أنّ لمحدّثه زوجة و ثلاثة أبناء فينصحه أن يطلّق زوجته لأنّ الزّواج في نظره عبوديّة للإنسان و لقوّة الإستمرار و أن يعلّم أولاده حفر القبور فيعطي كلّ واحد منهم رفشا ثمّ يتركهم وشأنهم وإن لم يكن له بد من الزّواج فليقترن بصبيّة من بنات الجنّ ، « فمثل هذا الزّواج

---

1) ريمون قبعين : النّزعة الرّوحيّة ، ص 39.

2) المجموعة الكاملة لمؤلّفات جبران خليل جبران : "العواصف" قدّم لها و أشرف على تنسيقها ميخائيل نعيمة ، دار صادر ، بيروت-لبنان المجلّد 6 ، الطّبعة 4 -1997 ، مقالة حفّار القبور ، ص 8.

3) أدونيس : الثّابت و المتحوّل ، ص 168.

يأتي بنفع بطيء ينتج عنه انقراض المخاليق الأموات الذّين يختلجون أمام العاصفة و لا يسيرون معها»[1]. بعدها يواصلان الحديث ليعرف الشّبح أنّ عبد الله يؤمن بالله ويكرم أنبياءه ويحبّ الفضيلة و له رجاء بالآخرة فيقول له ساخرا :« هذه ألفاظ رتّبتها الأجيال الغابرة ثمّ وضعها الإقتباس بين شفتيك منذ البدء و الإنسان يعبد نفسه و لكنّه يلقّبها بأسماء مختلفة بإختلاف ميوله و أمانيه ، فتارة يدعوها "بعل" و طورا "المشتري" و أخرى "الله"»[2] ،ثمّ يتبادلان الأدوار فيسأل عبد الله الشبح عن نفسه وعن دينه وأين وكيف ولد؟ فيردّ عليه بأنّه "الإله المجنون" و أنّه ليس حكيما لأنّ الحكمة صفة من صفات البشر الضّعفاء و«أنّه في الصّباح يجدّف على الشّمس ، و عند الظّهيرة يلعن البشر، و في المساء يسخر بالطّبيعة و في اللّيل يركع أمام نفسه و يعبدها»[3] و يضيف أنّ طعامه هو أجساد البشر و شرابه هو دماءهم و تحليته هي لهاثهم ، يقول ذال و ينتصب واقفا منصرفا إلى شأنه إلى حيث تلتئم الغيلان و الجبابرة. و يختم جبران مقاله بقراره بتطليق زوجته و يتزوّج صبيّة من بنات الجنّ و يقرّر أن يعلّم أولاده حفر القبور فيصبح هو و أولاده حفّاري القبور إلاّ أنّ الجثث كثيرة جدّا و هو وحده الحفّار .

و من هنا نستخلص أنّ جبران قد«آمن بالقوّة التّي تصارع القوّة و بالبطولة التّي تشرّع صدرها للشّظايا و هكذا تفرّغ من العواصف و رائحة البارود و الدّماء تملأ أنفك و الدّويّ المرعب يصمّ أذنيك إنّها الجرثومة التّي بذرها نيتشه تجسّدت بركانا يقذف الحمم و لا يهادن »[4].

و انّك لتعجب لجبران الذّي ما كان يجلّ أحدا من معلّمي الإنسانيّة و أنبيائها إجلاله ليسوع المسيح«كيف استطاع أن يرافق و لو إلى حين رجلا مثل نيتشه»[5]، حقّا إنّه لإله غريب جدّا ذلك الذّي إلتقاه جبران في ذلك الوادي الغريب و إنّها لمهنة شاقّة جدا تلك التّي تعلّمها منه.

1) جبران خليل : العواصف ، ص 9.
2) نفس المصدر،ص 10.
3) نفس المصدر ، ص 11.
4) ريموند قبعين : النّزعة الرّوحيّة في أدب جبران و نعيمة، ص 40.
5) ميخائيل نعيمة : المجموعة الكاملة العربيّة ، ص 18.

ب) العبوديـــــــــــة :

أمّا مقال العبوديّة فهو مليء بالمرارة و هو يرى النّاس يعشقون الحياة و هذا ما يجعلهم عبيدا لها ، فعندما نقرأ هذا المقال نكتشف كيف اصطبغت الحياة في عين جبران بالسّواد حتّى أصبح يرى الحياة قفص و يرى النّاس فيها عبيدا مستسلمين ، و سجناء مكبّلين ، أيّامهم مكتنفة بالذّلّ و الهوان ولياليهم مغمورة بالدّماء و الدّموع ، و يرى علاقات النّاس بعضهم ببعض سلسلة عبوديّات[1]« فالعامل عبد التّاجر ،والتّاجر عبد للجندي ، و الجندي عبد للحاكم ، و الحاكم عبد للملك ، و الملك عبد للكاهن ، و الكاهن عبد للصّنم ،و الصّنم من تراب جبلته الشّياطين و نصّبته فوق رابية من جماجم الأموات»[2].

في مقالته هذه أيضا يرفض الرّضوخ للتّقاليد و العادات البالية و يسمّي التّمسّك بالماضي عبوديّة عمياء «تلك التّي توثق حاضر النّاس بماضي آبائهم و تنيح نفوسهم أمام تقاليد جدودهم و تجعلهم أجسادا جديدة لأرواح عتيقة و قبورا مكلسة لعظام بالية»[3].

ثمّ يعدّد أشكال العبوديّات الأخرى منهـــــــا:

العبوديّـــــــــــة العميـــــــاء

العبوديّـــــــــــة الخرســـــــاء

العبوديّـــــــــــة العرجـــــــاء

العبوديّـــــــــــة الشّمطـــــــاء

العبوديّـــــــــــة الرّقطـــــــاء

العبوديّـــــــــــة العوجـــــــاء

---

1) ميخائيل نعيمة : المجموعة الكاملة مرجع سابق ، ص 170 ، م3.

2) جبران خليل : العواصف ، ص 12.

3) نفس المصدر ، ص 13.

فالعبوديّة كسلوك إنساني مرفوض بكلّ أشكاله و أنواعه«فتكرارها في ذلك النّصّ لم يأت عبثا و حشوا في النّص ، فبعد أن يقدّم جبران أشكال العبوديّة في صور تمتدّ عبر التّاريخ و في كلّ الأمكنة يقوم بذكر أنواع تلك العبوديّة و تكرار الكلمة في حقيقتها يحمل المتلقّي على الانفعال تجاه تلك الممارسات الواقعيّة للإنسان»[1].

و في الأخير تأتي الحرّية على شكل شبح هزيل يسير وحيدا فيسأله جبران عن اسمه وعن أبنائه ، فيجيبه الشّبح بأنّ اسمه الحرّية و لها ثلاثة أبناء :« واحد مات مصلوبا وواحد مات مجنونا وواحد لم يولد بعد»[2].

1) يوسف الكوفحي :اللّغة الإبداعيّة ، ص 20-21.

2) ينظر جبران خليل : العواصف ، ص 14.

ت)الأضراس المسوّســـــــــــة:

تعرّض جبران في مقالته "الأضراس المسوّسة"إلى حال الأمّة و ما تعانيه من تسوّس و تعفّن و شبّه الأمّة بالفم و شبّه الشّعب بالأسنان و الأضراس ، فافتتح مقالته بالحديث عن ضرسه التّي حرمته طعم النّوم من الألم و كيف أنّه اتّجه إلى طبيب الأسنان لكي يخلعه فيروي من باب التّمهيد للمأثورة كيف أنّ أحد الأطبّاء شارك في تعذيبه عندما كان يحاول تطبيب الضرس و تجميله و حشوه و تلميعه وتلبيسه عوضا عن استئصاله إلى أن أذعن الطّبيب فخلع الضّرس البالي المسوّس الذّي حرمه لذّة الرّقاد و حوّل سكينة لياليه إلى أنين و ضجيج .

ثمّ يمضي جبران قائلا: «في فم الجامعة البشريّة أضراس مسوّسة وقد نخرتها العلّة حتّى بلغت عظم الفكّ ، غير أنّ الجامعة البشريّة لا تستأصلها لترتاح من أوجاعها بل تكتفي بتمريضها و تنظيف خارجها و ملء ثقوبها بالذّهب اللّمّاع »[1].

ثمّ يقول :« و الأمّة التّي تكون أضراسها معتلّة تكون معدتها ضعيفة ، و كم من أمّة ذهبت شهيدة عصر الهضم»[2].و هنا يلجأ جبران إلى إسقاط صفة تّسوّس الأضراس على الجامعة البشريّة أو الأمّة ويرشد القارئ إلى أماكن الأضراس المسوّسة و منها «المحكمة حيث يتلاعب الذّكاء البهلواني بالقضايا الشّرعيّة مثلما تلعب القطّة بصيدها أو منازل المثريّين حيث التّصنّع و الكذب و الرّياء ....أو فليذهب إلى بيوت الفقراء حيث الخوف و الجبانة و الجهالة »[3].و هنا بيت القصيد فيموت الفقراء الجبناء الذّين يحترفون الخوف و يجتنبون المطالبة بحقوقهم و يجهلون أصلا كيفيّة المطالبة بهذه الحقوق.

كذلك من بين المقالات في العواصف مقالة "**يسوع المصلوب**" فرغم أنّ جبران قد جارى نيتشه في نقمته على النّاس و ضعفهم واستكانتهم إلى الذّل و العبوديّة إلاّ أنّه لم

---

1) ينظر جبران خليل جبران : العواصف مقالة الأضراس المسوّسة ، ص61.

2) ينظر نفس المصدر و الصّفحة.

3) ينظر نفس المصدر و الصّفحة.

يحاره في نظرته إلى يسوع بل وفّق بين إعجابه بنيتشه و بين محبّته ليسوع«بأن جعل من يسوع ذلك السّوبرمان الذّي يبشّر به نيتشه»[1].فيقول في يسوع المصلوب :« ما عاش يسوع مسكينا خائفا ، و لم يمت شاكيا متوجّعا بل عاش ثائرا و صلب متمرّدا و مات جبّارا »[2]، فمن خلال نيتشه «نظر إلى يسوع المصلوب فثار على الذّين رأوا في النّاصري فقيرا مهانا فبكوه و ندبوه لتكريمه فيما هو يرى يسوع ثائرا متمرّدا جبّارا ، بل عاصفة هوجاء و يأبى أن يجعل الألم رمزا للحياة»[3].

كذلك في مقاله "**العاصفة**" نجد البطل "**يوسف الفخري**" ثائرا على المدنيّة لم يحتقر الملذّات الطّبيعيّة بل كان يشرب القهوة و الخمر و يدخّن التّبغ و يأكل الجبن والعسل وحين يعلن لجبران تشاؤمه من النّاس ومدنيّتهم يردّ هذا بقوله :« أليست المدنيّة بما فيها من التّلبّس و الإشكال من دواعي اليقظة الرّوحيّة ؟ قد تكون المدنيّة الحاضرة عرضا زائلا و لكن النّاموس الأبدي جعل الأعراض سلّما تنتهي درجاته بالجوهر المطلق»[4].

فهو يرى في المدنيّة العارضة «مرحلة تقود إلى أفضل منها لأنّه يؤمن بسنّة التّطوّر و اليقظة بعد الرّكود لأنّ الأمم كالأفراد تتطوّر من الطّفولة إلى الشّباب فالكهولة و الهرم و السّبات يليه يقظة و تجدد و الكيان المعنوي يتبدّل لكنّه لا يضمحلّ بل يحيا في وارثيه إلى أن يتبلور و يتّخذ صورة جديدة معبّرة عن يقظة الشّعب الذّي احتفظ بكيانه في حالة كمون»[5].

و أنت حين تقرأ "**الملك السّجين**" و "**مات أهلي**" تدرك مدى تلك العواصف الهوجاء التّي كانت تعصف في رأس جبران و تكاد تودي بطمأنينته و سكينته و كان السّبب في ذلك نيتشه و أقوال رزادشت" التّي أسكرته و جعلته يرى النّاس كلّهم دونه ولا يهمّه من حوله حتّى كتب

1) ميخائيل نعيمة: المجموعة الكاملة العربيّة، ص 18.
2) جبران خليل :العواصف مقاله يسوع المصلوب ، ص 19.
3) جميل جبر : المجموعة الكاملة ، ص 44.
4) جبران خليل : العواصف مقالة العاصفة ، ص 80.
5) اسطفان قيلد : جبران مختارات و دراسات ، ص 122.

مقالة "**يا بني أمّي**"[1]، إذ يقول:« لقد كنت أحبّكم يا بني أمّي وقد أضرّ بي الحبّ و لم ينفعكم و اليوم صرت أكرهكم ....أنا أحتقركم أنا عدوّكم»[2].

و رغم ذلك فإنّه يعترف بالمحبّة في مواضع كثيرة و يفسح لها مكانا في نفسه و قد أراده جسرا بين أفكاره الهدّامة و رؤاه البنّاءة الجديدة إنّه الكائن الجبراني الذّي تجرّد من براقعه الكثيفة فصار يحسّ الشّمس ساطعة أمام عينيه و يرى في الإنسان و العالم و الله وحدة لا تتجزّأ إنّه مزيج من النّاصري و زرادشت ، بل هو جبران الذّي يتكلّم فيقول :« الحق الحقّ أقول لكم»،إنّه يرى البشر رجلين : أحدهما ضعيفا يرقّ له و يزدري به ، و الثّاني قويّا يتّبعه أو يتمرّد عليه، ثمّ يقسّم النّاس إلى قسمين : أبناء الآلهة ، و أحفاد القرود ، فيتبرأ من الأخير لينتمي إلى الأوّل .إنّه يستهزئ بمآسي الحياة جميعها و بمسارحها بل و بالحياة نفسها ، إنّه قلق و عبثا يفتّش عن ألفة يأنس بها و عن استقرار يطمئنّ إليه[3].

جبران لم يكتف بذلك فقط فقد تعدّت ثورته و تمرّده حدود كتاباته العربيّة و تجاوزتها إلى الإنجليزيّة في مقاله "**العالم الكامل**" الذّي يتهكّم فيه على عالم النّاس تهكّما كلّه مرارة من حيث مقصده و كلّه جمال من حيث أسلوبه ليهتف في الأخير«لماذا أنا هاهنا يا إله الأرواح الضّائعة ، أيّها الضّائع بين الآلهة ما شأني أنا الكامل في عالم كلّه نقصان »[4].

فهو لم يكن في الواقع يرى في نفسه علّة أو إثما ، بل كان يرى كلّ العلّة و كلّ الإثم في النّاس ، و يقول ميخائيل نعيمة عن جبران :« لو أنّ جبران وقف في ذلك الزّمان أمام المرآة و

---

1) ينظر نادرة جميل سراج : شعراء الرّابطة القلميّة ، ص 296-297.

2) ينظر جبران خليل : العواصف مقالة "يا بني أمّي" ، ص 31.

3) **ينظر سلمى الحفّار و سهيل البشروئي : "الشّعلة الزّرقاء رسائل جبران إلى مي زيادة" ،مؤسّسة نوفل ، بيروت_لبنان ،ط2 ،،1984 ،ص 100.**

4) ينظر ميخائيل نعيمة : جبران خليل جبران ، ص 214.

تفحّص نفسه لوجد أنّ الجبّة التّي استعارها من نيتشه لم تكن تليق به ، لأنّها لم تفصّل لكتفين ككتفيه و لا لقامة كقامته فلا مزاج نيتشه مزاجه ولا إرادة نيتشه إرادته»[1].

هكذا مشى جبران في كهوف نفسه المظلمة و هو يحسب نفسه ماشيا في كهوف العالم المظلمة ، و هكذا راح يجرع المرارة معصورة من قلبه و هو يظنّها آتية إليه من قلوب النّاس المريرة [2] و قد بلغت هذه المرارة من نفسه مدى أصبح عنده يرى الحياة "امرأة عاهرة" لكنّها جميلة ، ومن ير عهرها يكره جمالها ، حتّى أنّه في هذه الفترة كاد ينسى كلّ ما كان يقدّسه في أوّل شبابه لاسيما الحبّ.

وفي الأخير يمكن القول أن معظم كتابات جبران نصف الواقع المرّ الذّي تعانيه شرائع المجتمع على تنوّع عذاباتها و طموحاتها ، و جاءت أعماله بكائيّة حالمة أو عواصف متمرّدة أو خيالات متمرّدة على قوانين الأرض و معتقدات الإنسان أو تشريعات و قوانين يسنّها و يعتقد أنّها تصلح فساد الأرض.

1) ميخائيل نعيمة : جبران خليل جبران ، ص 215-216.

2) ينظر نفس المرجع و الصّفحة.

خاتمة

و كنتيجة لهذا البحث المتواضع سنحاول وضع حوصلة شاملة لكلّ ما درسناه في بطون الفصول السّابقة:

1. هناك ثلاث دوائر ساهمت في تكوين شخصيّة جبران كفنّان و رسّام و أديب و هي كالآتيّ

أ) دائرة الوطـــــــن: إحساسه بانتمائه إلى حضارة لها هويّتها و لها تاريخها و ميراثها الرّوحي والفكري ، لكن في المقابل إحساسه بانسلاخه عنها في سنّ مبكّرة و نموّه في بيئة غريبة أكثر تفتّحا وحرّية.

ب) دائرة المهجـــــــــر: احتكاكه بالثّقافة الأنجلوسكسونيّة ممثّلة في كلّ من "بليك"و"امرسون" حيث كان لها بالغ الأثر في انتاجاته خاصّة الأولى منها كدمعة وابتسامة و الأجنحة المتكسّرة.

ت)دائرة رحلاته إلى أوروبّـــــــا : و تعرّفه على الثّقافة الأوروبيّة و احتكاكه بها خاصّة "نيتشه" و"جون جاك روسو" و "أرنست رينان" وظهر ذلك واضحا في انتاجاته في المرحلة الثّانية التّي وصفت بالتّمرّد و القوّة خاصّة في العواصف.

2. من حيث الموضوعـــــــات: لقد ثار على السّلطات التّي تحكم المجتمع الشّرقي خاصّة :

- السّلطة الدّينيّة : ممثّلة بقصّة "يوحنّا المجنون" و " خليل الكافر" ، و كثيرا ما كان سلوك رجال الدّين و تسلّطهم الجائر ،و ثرائهم في زمن المجاعة يثير حنقه و سخطه
- سلطة الإقطاعي الغنيّ أو الحاكم : كذلك ثار على الحاكمين و أثرياء المجتمع و ظهر ذلك في قصّة "صراخ القبور "، و "ميرتا البانية" ، و" لكم لبنانكم و لي لبناني ".....
- التّقاليد و الزّواج القسري : وقد خصّص له مساحة واسعة من كتاباته فنجد "وردة الهاني" ومضجع العروس" و كذلك قصّة الأجنحة المتكسّرة.

جبران من خلال معالجته للموضوعات كثيرا ما كان يقف بجانب المستضعفين فهو ما صوّر راعيا قبيحا أو فلاّحا خسيسا أو عاملا شرّيرا و لا صوّر حاكما عادلا أو كاهنا تقيّا أو راهبا في قلبه شيء من الإيمان و الشّفقة ، و ما صوّر زوجين متجانسين متحابين هانئين و هذا ما جعله بعيدا عن الواقع.

3. لقد تأثّر جبران بالطّبيعة و مظاهرها تأثّرا بالغا على غرار شعراء الرومانسية فالطّبيعة مرموز لها بالغاب هي في نظر جبران رحم الإنسان و مصدر قوّته و سعادته فيها يتوحّد الخير و الشّر و فيها تكمن بذرة التّناسخ و التّقمّص ، هذه العقيدة هي بمثابة العمود الفقري من بنية جبران الفكريّة والفنّيّة.

4. صُبغت انتاجاته بصبغة من التّأمّل و الرّمز طرح من خلالها أفكاره في الحياة و الموت متّجها في ذلك اتّجاه الصّوفيّة في رحلاتهم البرزخيّة.

5. يعتبر جبران زعيم المجدّدين في العصر الحديث حين كسر قيود الماضي و القوالب القديمة واللّغة الفخمة التّي ما عادت تصلح إلاّ لذلك الزّمن الغابر مع امرؤ القيس و النابغة و زهير وغيرهم و لم تعد الكتابة العربيّة بدءا منه تتأمّل ذاتها في المرايا اللّفظيّة بل أصبحت تنغمس في العذاب و البحث و التّطلّع ، و من هنا امتلأت بالحيويّة و أصبح القرّاء الّذين كانوا يتغذّون بالألفاظ يتغذّون بقوّة التّجديد و التّغيير.

6. ثم إن تمرّد جبران على المجتمع، ورجال الدين، والتقاليد البالية، والشرور التي ورثتها الأمة، قد أثّرفي عقل الجيل الذي كان ينمو في الثلاثينيات وفي أسلوب تفكيره. فقد كان هو والريحاني أول ثائرين حقيقيين في الأدب العربي رفضا ليس مجرد الاعتداءات التي يشنّها العالم الخارجي على عالمهما العربي، بل وأيضًا القيود التي كبلت الأمة العربية من الداخل، ذلك الخمول والتهاون والتخاذل والتقاليد والجهل والركود. وقد كتب جبران «عرائس المروج» (1906) و«الأرواح المتمردة» (1908) كان يعرض أفكارًا بإمكانها أن تصدم عصرًا أكثر استقرارًا. لكن العرب كانوا قد دخلوا عصر المغامرة وجعلوا أنفسهم عرضة لأفكار تهبّ عليهم من جميع أنحاء العالم.

7. ولا شكّ في أن تمرد جبران وخصاله العديدة الأخرى قد أسهمت جميعها في تكوين أسلوبه الخاصّ به. وعلينا أن نضيف إلى ذلك كله حقيقة مهمة جدًا هي موهبته الفريدة الخاصة، واعتناقه مُثلاً محددة بعينها وعقيدة معينة يدافع عنها.

قائمة المصادر والمراجع

1) المصـــــــــادر :

المجموعة الكاملة لمؤلّفات جبران خليل جبران ، قدّم لها و أشرف على تنسيقها ميخائيل نعيمة :

1. المجلّد 1 "الموسيقى"، الطّبعة 2، 1996.
2. المجلّد 3 "الأجنحة المتكسّرة و المواكب "، الطّبعة 4، 1997.
3. المجلّد 4 " دمعة و ابتسامة"، الطّبعة 4، 1997.
4. المجلّد 5 "البدائع و الطّرائف" ، الطّبعة 4 ، 1997.
5. المجلّد 6 «العواصف"، الطّبعة 4، 1997.
6. المجلّد 11 "رمل و زبد"، الطبعة 10، 1997.

2) المعـــــــــاجم:

1. ابن منظور أبي الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم الإفريقي المصري:"لسان العرب"، المجلّد12، دار صادر، بيروت.
2. الجوهري إسماعيل بن حمّاد :"معجم الصّحاح" اعتنى به خليل مأمون شيحا، نسخة مخرجة الآيات و الأحاديث و موثقة الأشعار و الأمثال العربيّة،دار المعرفة ، بيروت-لبنان ، الطبعة 3 ،1429هـ/2008م.
3. الفراهيدي الخليل بن احمد (170هـ) ترتيب و تحقيق الدّكتور عبد الحميد هنداوي ، المجلّد 4، ك-ي، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلميّة بيروت-لبنان.

3) المراجـــــــــع :

1. إبراهيم خليل : "مدخل لدراسة الشّعر العربي الحديث" ، دار المسيرة للنّشر،عمّان-الأردن، ط1، 1424هـ/2003م.
2. أدونيس :"الثّابت و المتحوّل بحث في الإبداع و الإتّباع عند العرب صدمة الحداثة و سلطة الموروث الشّعري"الجزء 4، دار السّاقي بيروت-لبنان، ط 10، 2011.

3. اسطفان قليّد:" جبران خليل جبران مختارات و دراسات"، جمعه و صنّفه "سهيل بديع بشروئي"، مهرجان جبران العالمي 23-30 أيّار 1970، دار المشرق بيروت ، ط،تصدير.
4. اسكندر نجّار:"جبران خليل جبران" نقله عن الفرنسيّة "بسّام حجّار"دار النّهار للنّشر ، بيروت-لبنان، ط13، 2009.
5. إقبال محمّد رشيد صالح الحمداني: الإغتراب –التّمرّد-قلق المستقبل"، دار صفاء للنّشر ، عمّان ،ط1، 1432هـ/2011م.
6. جميل جبر:" المجموعة الكاملة لمؤلّفات جبران خليل جبران العربيّة"، دار الجيل ، بيروت.
7. جميل جبر:" مختارات من رسائل جبران خليل جبران" ضبط و شرح و مداخلة سامي ج الخوري، دار الجيل ، بيروت –لبنان.
8. جان غرانييه: "نيتشه"، ترجمة علي بوملحم ، مجد للنّشر و التّوزيع ، بيروت-لبنان ط1 ، 1429هـ/2008م.
9. حنان العنّاني عبد الحميد:" الصّحّة النّفسيّة"، دار الفكر للطّباعة و النّشر و التّوزيع، ط1، 1973.
10. خليل خليل أحمد : "معجم مفاتيح العلوم الإنسانيّة " دار الطّليعة ، بيروت- لبنان 1989.
11. ريموند قبعين :"النّزعة الرّوحيّة في أدب جبران و نعيمة" ، دار الفكر اللّبناني.
12. سامر فاضل عبد الكاظم الأسدي : "مفاهيم الشّعر العربي في القرن العشرين"، دار الرّضوان ، مؤسّسة الصادق الثّقافيّة، ط1 ، 1433هـ/2012م.
13. صابر عبد الدّايم: أدب المهجر دراسة تأصيليّة تحليليّة لأبعاد التّجربة التّأمّليّة في الأدب المهجري"، دار الكتاب الحديث ، القاهرة ، ط1 ،2010.

14. صلاح الجبالي:" المراهقة أزمة الشّباب مع الفكر"، مكتبة الفكر طرابلس-ليبيا ، ط1 1973.

15. عبد الأمير الأعسم : "الفيلسوف الغزالي"،دار قباء ، 1998.

16. عبد السّلام السيّد:"موسوعة أعلام العرب"، الأهليّة للنّشر و التّوزيع عمان-الأردن،ط2، 2011.

17. عبّاس محمود العقّاد : "الفصول" مجموعة مقالات أدبيّة و اجتماعيّة و خطرات و شذور ، المواكب

18. عثمان بيدي:"الأرواح المتمرّدة متبوع بأعمال أخرى لجبران خليل جبران"، موفم للنّشر 1993.

19. فتحي مصطفى:"موسوعة أعلام الحضارة الإسلاميّة"، دار أسامة للنّشر و التّوزيع، عمان – الأردن ، 2001.

20. محمّد يحياتن :" مفهوم التّمرّد عند البير كامو و موقفه من ثورة الجزائر التّحريريّة"، ديوان المطبوعات الجامعيّة، بنعكنون-الجزائر 1984.

21. ميخائيل نعيمة:" جبران خليل جبران المجموعة الكاملة لمؤلّفاته العربيّة"، دار صادر ، بيروت-لبنان ، ط1 ،2002.

22. ميخائيل نعيمة : "جبران خليل جبران"، نوفل ، بيروت- لبنان، ط13، 2009.

23. نادرة جميل سراج:"شعراء الرّابطة القلميّة دراسات في شعر المهجر"، مكتبة الدّراسات الأدبيّة دار المعارف،مصر،1964.

24. ناصر اسماعيل محمّد:"جبران خليل جبران الأجنحة المتكسّرة"، دار الهدى،عين مليلة-الجزائر

25. نازك سابا يارد:" جبران خليل جبران البدائع و الطّرائف"، طلاسدار،دمشق.

26. نذير العظمة:"جبران خليل جبران في ضوء المؤثّرات الأجنبيّة دراسة مقارنة" دمشق أوتوستراد المرة، طلاسدار ، ط1، 1987.

27. نزار بريك هنيدي: "جبران خليل جبران المجموعة الكاملة المعربة"، دار و مؤسّسة رسلان دمشق-سوريا-جرمانا،2013.

28. نزار بريك هنيدي : "جبران خليل جبران المواكب"،مؤسّسة رسلان علاء الدّين ، الدّار السّوريّة الجديدة ، سورية ،ط1 ،2002.

29. هدى رجب العبيدي :" فاعليّة شعر الرّفض و التّمرّد، أمل دنقل-عبد الرّؤوف بابكر السّيّد دراسة نقديّة موازنة في ضوء منهج التّحليل الفاعلي" الدّار العربيّة للنّشر و التّوزيع ، ط1 2013.

30. يوسف محمّد الكوفحي:" اللّغة الإبداعية دراسة أسلوبيّة لأعمال جبران خليل جبران العربيّة"عالم الكتب الحديث ،اربد –الأردن ،ط1، 2011.

31. يوسف عطا الطريفي:"روائع جبران خليل جبران مختارات أدبيّة" ، الأهليّة للنّشر و التّوزيع عمان-الأردن،ط1 ،2015.

4) مواقع الانترنـــــــــــت :

1) العروبة: يوميّة تصدر عن مؤسّسة الوحدة للصّحافة و الطّباعة و النّشر-حمص، العدد 14839 – نيسان 11، 2017.

2) ثقافات جبران باعث الرومانسية بالأدب العربي المعاصر: جهاد فضل خاتمة البحث.

3) منتديات ستار تايمز : أصداء و دراسات أدبيّة نقديّة ج1(مواكب جبران نصّ و تحليل).

4) تحليل قصيدة المواكب:1 أغسطس 2012.

5) حسن حجازي :من منتدى الديار اللندنيّة ،جريدة مستقلّة تعنى بشؤون النّاطقين بالعربيّة في بريطانيا و العالم تاريخ الدخول 2017/03/03.

6) ويكيبيديا الموسوعة الحرّة.

7) حسين ربجير :جبران و موقفه من الدّين ، ديوان العرب ، منبر حرّ للثّقافة و الفكر و الأدب (الانترنت).

8) منتدى ليلاس : بحث عن جبران خليل جبران.

التلـــخيـــص:

يدور موضوع المذكّرة حول الأديب العالمي **"جبران خليل جبران"** وعن أهمّ الأحداث في حياته و التّي أثّرت على انتاجاته ،وكيف تمرّد على السّلطات الاجتماعيّة وكيف كسر قيود الماضي و حرّر اللّغة من الألفاظ الفخمة كما أنّه جدّد في الموضوعات متأثّرا بالثّقافات المختلفة و التّيّار الرّومانسي ، و كيف طبّق هذا المذهب الجديد على الأدب العربي فأحدث ضجّة كبيرة في عالم الأدب ، حيث كان له الأثر البالغ في تحويل مسار الأدب نحو الحداثة رغم إمكانياته النّاقصة و بعده عن المجتمع و الواقع العربي.

الكلمات المفتاحيّة : التّمرّد – الأدب – جبران خليل جبران.

Résumer :

Le thème de la note sur l'écrivain mondial" **GIBRAN KHALIL GIBRAN"** et les événement les plus importants de sa vie et qui a touché les autorités sociales et comment briser les restrictions passées et de langage libre de luxe verbeux comme il a identifié des sujets influencés par les différentes cultures et romantique grand public et la façon dont il a appliqué cette doctrine cette doctrine sur la littérature arabe sensation la plus récente le monde littéraire ou il a pour effet de transformer le chemin de la littérature vers la modernité malgré la possibilité de passer a cote et après la communauté artistique et la réalité arabe.

Mots – clés: rebellion – Literature – Gibran Khalil Gibran.

Summarization of the Memory :

The subject of the memory revolves around the world – famous writer" **GIBRAN KHALIL GIBRAN"** ,the most important events in his life which influenced his production and how she rebelled against the social authorities and how to break the restrictions of the past and be free the language of the word luxury, as it is new in the subjects influenced by the different cultures of the romantic trend and how he applied this new doctrine to the Arab literature and caused a great fuss in the world of literature , which had the greet impact in transforming and after the community and the Arab impact .

Key words: The rebellion – literature –Gibran Khalil Gibran.